جـــــــامعة غـــــــــــرداية

كليّة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة

قسم التاريخ

الأوضاع الاجتماعية والثقافية للجزائر خلال القرن 18م

- الرحلة الورثلانية أنموذجا -

مذكّرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصّص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالب: مصطفى مزي

إشراف الأستاذة: دة. سعاد آل سيد الشيخ

الموسم الجامعي: 1440-1441هـ/2019-2020م

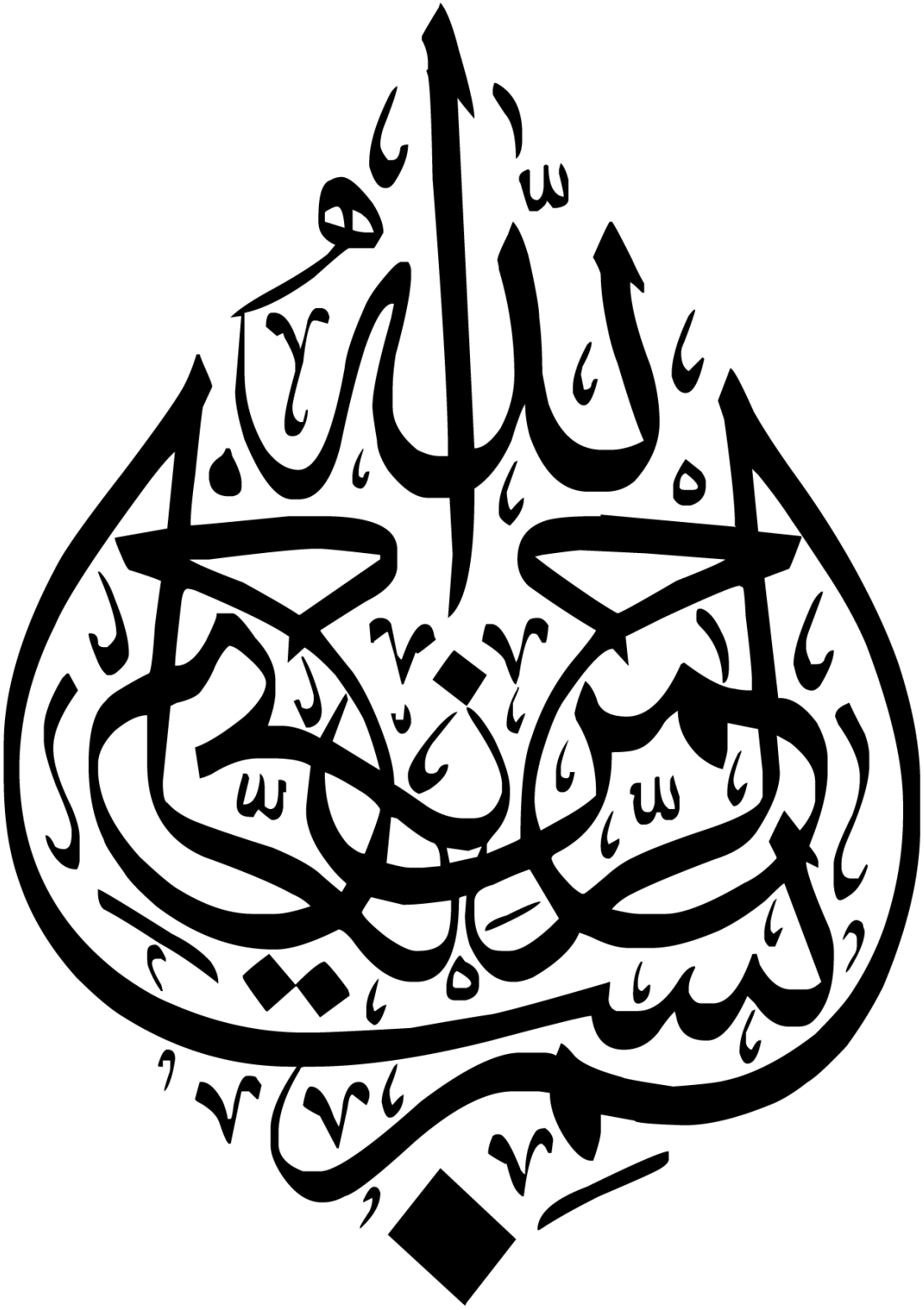

قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

التوبة:105

الإهداء

بعد إنهائي لإنجاز مذكرتي أسأل الله العلي القدير أن يأجرني على تعبي وما عانيته في سبيل إتمامها:

أهدي هذا العمل إلى:

أمي الغالية **وأبي** العزيز

وإلى **زوجتي** التي رافقتني طوال مساري الدراسي في الجامعة

إلى ولديّ **إلياسوصلاح الدين**

وإلى إخوتي وأخواتي:**قدور، نور الدين، رضوان. مليكة، صليحة، عمارية، هجيرة**

وإلى أرواح أقاربي وأصدقائي الذين توفوا سائلا الله العلي القدير أن يتغمدهم برحماته الواسعة.

شكر وتقدير

من لم يشكر الناس لم يشكر الله

أتقدم بشكري الخاص إلى كل من ساندني من قريب أو بعيد من أجل إنجاز عملي هذا، بداية بالأستاذة المشرفة **آل سيد الشيخ سعاد**على التوجيهات القيمة التي ما فتئت تقدمها لي.

كما أتوجه بشكري الخاص إلى الأستاذ **بوسليم صالح** على تزويده لي ببعض المراجع والتوجيهات.

كما أتوجه بالشكر إلى كل أستاذ أو صديق قدم لي يد المساعدة ووقف إلى جانبي لإعداد وإتمام مذكرتي.

أما شكري الخاص فهو إلى صديقي وأخي **صالح هروييني** الذي أسأل الله أن يجازيه عني خير الجزاء نظير كل المجهودات والمساعدات الكبيرة من أجل إتمام المذكرة.

قائمة الرموز والمختصرات:

الرمز	معنى الرمز
ت	توفي
تح	تحقيق
ج	جزء
دط	دون طبعة
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
م	ميلادي
هـ	هجري
N	العدد
P	الصفحة
T	الجزء

المقدمة

تعتبر رحلة الشيخ الحسين الورثلاني الموسومة بـ **"نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"** من أهم الرحلات المغاربية في القرن 12هـ/18م، وذلك لما وثقته من حقائق وسردته من أخبار عن جزء كبير من العالم الإسلامي عامة والجزائر بصفة خاصة، فهي بحق مصدر هام من المصادر التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، التي يستند عليها الباحث والمؤرخ في دراسته لتلك الحقبة الزمنية والتأريخ لها.

وعلى ذكر الجزائر، نجد أن الشيخ الحسين الورثلاني خصص لها حيزا هاما من رحلته، حيث وقف على حالة البلاد والعباد في تلك الفترة.

وهذا ما أنا بصدد البحث فيه ومناقشته في هذه المذكرة الموسومة بـ:

الأوضاع الاجتماعية والثقافية للجزائر خلال القرن 18م

– الرحلة الورثلانية أنموذجا –

❖ **حدود الدراسة:**

- **موضوعا:** يرتبط الموضوع الذي أنا بصدد دراسته والبحث فيه بالجانب الاجتماعي والثقافي للجزائر من خلال رحلة الشيخ الحسين الورثلاني.
- **زمانا:** أما الإطار الزماني فيتمحور في حدود القرن 18م، وهي الفترة التي عاش فيها الحسين الورثلاني وقام فيها بكتابة رحلته.
- **مكانا:** أما الإطار المكاني فيشمل جغرافية الجزائر، والتي يحدها المغرب الأقصى غربا، وتونس شرقا.

❖ **أسباب اختيار الموضوع:**

- **الأسباب الذاتية:**

– ميولي إلى هذا النوع من الدراسات والأبحاث.

– كون ارتباط مجال هذا البحث ببلدي الجزائر، ورغبتي الملحة في البحث في تاريخها.

- **الأسباب الموضوعية:**

– تعتبر رحلة الشيخ الحسين الورثلاني مادة تاريخية دسمة لكل باحث ومؤرخ ودارس لتاريخ الجزائر في الفترة العثمانية.

– دراستي لموضوع الرحلات في مساري الجامعي كان له الأثر الكبير الذي دفعني إلى التعمق أكثر في الموضوع وحدد لي هذا الاختيار.

❖ **إشكالية الدراسة:**

إن البحث في موضوع الرحلة الورثلانية خاصة الجانب منها المتعلق بالحيز الجغرافي للجزائر يعطينا فكرة عامة عن الأوضاع الاجتماعية والثقافية لجزائر القرن الثامن عشر الميلادي، وبناء عليه:

كيف عالج الشيخ الحسين الورثلاني تلك الأوضاع من خلال رحلته الحجازية؟

إن التعامل مع هذه الإشكالية العامة، يجرني إلى الإجابة عن مجموعة من الأسئلة الفرعية التي تتعلق بذات الموضوع من جوانب متعددة منها:

-ما مفهوم الرحلة وما دورها في التأريخ للأحداث؟.

_وكيف تركت التنشأة الدينية والعلمية بصمتها في حياة الورثلاني، لتنتج بدورها هذا المؤَّلف الذي يعتبر بجدارة موسوعة جزائرية يفتخر ويؤرخ من خلالها لشتى المشارب التاريخية للجزائر ولمختلف الأقطار المغاربية والمشرقية في مسار الرحلة إلى الحجاز؟.

-كما نستفسر وبدقة عن المنتوج الاجتماعي والثقافي للرحلة الورثلانية للجزائر العثمانية، وبالأخص خلال القرن 12هـ/18م ؟

❖ **شرح خطة الدراسة:**

وعليه فقد قسمت موضوعي حسب هذه العناصر إلى فصل تمهيدي أردفته بثلاثة فصول عالجت فيها جزئيات الموضوع.

فصل تمهيدي: تطرقت فيه إلى التعريف بالرحلة عموما ودواعيها وأنواعها حيث قسمته إلى ثلاثة مباحث: تطرقت في المبحث الأول منه إلى ماهية الرحلة. وفي المبحث الثاني إلى دواعي الرحلة وأنواعها. أما المبحث الثالث منه فقد خصصته لتقديم ترجمة لابن أبي شنب محقق الرحلة الورثلانية.

وفصل أول: خصصته للتطرق إلى ميلاد ونشأة الشيخ الحسين الورثلاني، ومصادر رحلته، وقسمته إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول خصصته للتعريف بشخصية الشيخ الحسين الورثلاني، مولده، تعليمه، وأهم مشايخه. وأما عن المبحث الثاني فخصصته لمصادر كتاب رحلة الشيخ الحسين الورثلاني. أما عن المبحث الثالث فقد تطرقت فيه إلى بعض علماء وشيوخ الشيخ الحسين الورثلاني، وتأثره بهم.

وأما **الفصل الثاني:** فقد عنونته بـ: **"الأوضاع الاجتماعية للجزائر في رحلة الشيخ الحسين الورثلاني"**، وقد قسمته إلى ثلاث مباحث. المبحث الأول الموسوم بـ: المجتمع الجزائري في رحلة الشيخ الحسين الورثلاني. والمبحث الثاني فعنونته بـ عادات الجزائريين في رحلة الشيخ الحسين الورثلاني. وأما عن المبحث الثالث فقد تطرقت فيه إلى مواطن المقارنة والمقاربة في رحلة الشيخ الحسين الورثلاني.

أما عن **الفصل الثالث** الموسوم بـ:" **الأوضاع الثقافية للجزائر في رحلة الشيخ الحسين الورثلاني"**، فقد قسمته إلى ثلاث مباحث: المبحث الأول، بعنوان: المؤسسات الثقافية في الجزائر، ومبحث ثاني بعنوان: المسائل الفقهية التي تعرض إليها الشيخ الحسين الورثلاني في مؤلفه. وتطرقت في المبحث الثالث إلى البيوتات العلمية في الجزائر العثمانية من خلال الرحلة الورثلانية.

❖ **أهمية وأهداف الدراسة:**

- **أهمية الدراسة:**

– تكشف هذه الدراسة التاريخية عن جوانب مهمة من الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري خلال القرن 18م.

– تبرز دور الرحالة في التأريخ للوقائع والأحداث التي عاشتها الجزائر في تلك الفترة.

– يعطينا هذا النوع من الرحلات صورة مختلفة عن غيرها من الدراسات عن أوضاع المجتمع الجزائري خلال تلك الفترة، كما تثبت هذه الرحلة وبجدارة أن مادة دسمة للمؤرخ ومنها يأخذ التاريخ بمختلف توجهاته؛ بما غم عنه في مصادر أخرى وبلسان صدق وشفافية وبعين المشاهدة وبموضوعية العالم والأديب والمؤرخ والناقد والمصلح في آن واحد.

- **أهداف الدراسة:**

– كشف النقاب عن أوضاع المجتمع الجزائري الاجتماعية والثقافية من خلال نظرة الشيخ الحسين الورثلاني .

– إبراز دور الشيخ الحسين الورثلاني في التأريخ لأوضاع الجزائر خلال القرن الثامن عشر الميلادي، انطلاقا من نظرته في معالجة قضايا مجتمعه.

❖ **المناهج المتبعة:**

اعتمدت في إنجاز دراستي هذه على المنهجين التاريخيين:

. التركيبي المقارن القائم على جمع المادة الخبرية من المصادر، ومقارنتها، ثم ترتيبها ترتيبا يتوافق مع جزئيات ومفاصل الدراسة.

. الوصفي القائم على وصف الأحدث والوقائع التاريخية، وكشف حيثياتها.

❖ **صعوبات البحث:**

لا يخلو أي بحث من صعوبات وعراقيل تواجه صاحبه. ومن أبرز الصعوبات التي واجهتني في إنجاز دراستي هذه نوجزها كالآتي:

- غلق المؤسسات الجامعية ومكتباتها بسب الوباء ما حال دون استفادتي من الكم الهائل من المصادر والمراجع التي لها علاقة مباشرة بموضوع بحثي.
- واجهت بعض الصعوبات في فهم المادة المصدرية، خاصة في بعض المصطلحات والنصوص الدقيقة التي لها علاقة بالتصوف، والفلسفة، والمنطق، وعلم الكلام.
- احتفاظ المحقق ببعض الأخطاء، والإبقاء عليها مثلما وردت في النص الأصلي دون تصحيح كزيادة حرف أو نقصانه، مما يفرض علي الاجتهاد لاكتشاف المعنى الصحيح لبعض الكلمات والفقرات.
- صعوبة تحديد الإطار الزمني لبعض الأحداث التي ذكرها الشيخ الحسين الورثلاني في رحلته، بسب عدم إتباعه للتسلسل الزمني في وصف بعض أحداثها.

❖ **الدراسات السابقة:**

من بين الدراسات التي تناولت رحلة الشيخ الحسين الورثلاني، نجد:

– عبد الرحمن عزي: **التواصل القيمي في الرحلة الورثلانية،** وقد أفادني هذا المرجع في تصور الفكرة العامة لدراستي هذه. وذلك بالنظر لما احتوته من تفاصيل وتحليلات قيمة تخص رحلة الورثلاني.

❖ **أهم مصادر ومراجع الدراسة:**

أولا– المصادر:

- الحسين الورثلاني: **الرحلة الورثلانية،** وهذا مصدر أساسي في دراستي، وقد أفادني أيما إفادة في إتمام جزئيات البحث.
- حمدان بن عثمان خوجة: **المرآة،** وقد أفادني هذا المصدر في بعض الجوانب الاجتماعية للجزائر في القرن 18م.
- عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية،** وقد أفادني هذا المصدر في الجانب الثقافي للجزائر خلال العهد العثماني.
- عبد الرحمن المجاجي: **رحلة المجاجي،** وقد أفادني هذا المصدر كثيرا في وضع تصور عام حول موضوع الدراسة، كما أفادني في كثير من التراجم التي ذكرت في البحث.

ثانيا – المراجع:

- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي،** بجزئيه الأول والثاني، وقد أفادني هذا المرجع في التثبت من المعلومات الخاصة بالجانب الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني.
- يحي بوعزيز: **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر،** وقد أفادني هذا المرجع في الترجمة لكثير من الشخصيات التي ذكرت في موضوع دراستي.
- عبد الرحمن عزي: **التواصل القيمي من خلال الرحلة العياشية،** وقد أفادني هذا المرجع كثيرا في تحليل كثير من جزئيات ونصوص الرحلة العياشية، خاصة ما تعلق منها بالجانب الاجتماعي.

وفي ختام هذه المقدمة لا يفوتني أن أتقدم بعظيم الشكر والامتنان لكل من قدم لي يد العون بداء من المشرفة الأستاذ سعاد آل سيد الشيخ، إلى لجنة المناقشة التي قبلت بسعة الصدر مناقشتها بعد

عناء تحميص فقراتها ومداخلها ومخارجها، لهم مني كل الشكر والتقدير وجزأهم الله عني الخير كله. فإن كانت أحسنت فمن الله وحده وإن قصرت من النفس والشيطان، فلا يخلو عمل بني أدم من النقد والنقصان وأخذ ورد، فأرجو التوفيق لما تتصدره الأيام بأعمال بحث تكون بدايتها ولبنتها هذا العمل المتواضع، لتعم الفائدة والاستفادة لكل محب للعلم بإذن الله.

الفصل التمهيدي:

مقدمات حول رحلة الشيخ الحسين الورثلاني

المبحث الأول: ماهية الرحلة

المبحث الثاني: دواعي الرحلة وأنواعها

المبحث الثالث: التعريف بمحقق رحلة الشيخ الحسين الورثلاني والنسخ المعتمدة في ذلك

المبحث الأول: ماهية الرحلة

أولا– الرحلة في اللغة:

جاء في لسان العرب: "رَحَلَ البعيرَ يَرْحَلُه رَحْلًا، فَهُوَ مَرْحُول ورَحِيل، وارْتَحَلَه: جَعَلَ عَلَيْهِ الرَّحْل، ورَحَلَه رِحْلةً: شدَّ عَلَيْهِ أَداته...وَيُقَالُ رَحَلْتُ الْبَعِيرَ أَرْحَلُهُ رَحْلًا إِذا عَلَوْتَهُ... وارْتَحَلْتُ البعيرَ إِذا رَكِبْتَهُ...ومَعْنَى تُرَحِّلُهم أَي تُنْزِلهم المَرَاحِل، وَقِيلَ: تَحْمِلُهُمْ عَلَى الرَّحِيل، قَالَ: والتَّرْحِيل والإِرْحَال بِمَعْنَى الإِشخاص والإِزعاج. يُقَالُ: رَحَلَ الرجلُ إِذاسَارَ، وأَرْحَلْتُهُ أَنا... والتَّرَحُّل والارْتِحَال: الِانْتِقَالُ وَهُوَ الرِّحْلَة والرُّحْلَة. والرِّحْلَة: اسْمٌ لِلِارْتِحَالِ للمَسير."[1]

نلمس من خلال عرض بعض مادة "رحل"، أن لفظ الرحلة تطور دلاليا عند استخدام العرب له، إذ خص في بداية أمره البعير، المسماة بالرواحل، التي كانت تيسر للإنسان السفر والتنقل، ولازالت، ثم أصبحت مقترنة بالإنسان المستخدم للبعير، فقيل رجل رحال ورحول، أي مكثر للارتحال، كما أُطلقت اللفظة على الأقوام الذين تعودوا على الرحلة، فسموا قوما رحّل.

ورغم تعدد مشتقات مادة "رحل" إلا أنها تشترك في معنى عام واحد، وهو الحركة التي ارتبطت بالإنسان قبل وجوده على وجه الأرض وبعده،وهي دليل حياته مثلما يكون السكون دليل موته.

حث الإسلام على الرحلة، وشجع الناس عليها، كونها تعود عليهم بمنافع في حياتهم العلمية والعملية والدينية، وهي منافع ترتبط ارتباطا وثيقا بالدوافع الكثيرة، التي تدفع الانسان إلى القيام بالرحلة، حتى أن الله تعالى خفف عليه بعض العبادات كالصلاة والصوم في سبيل انجازها من غير حدوث الضرر أو المشقة.

وقد أخبرنا القرآن الكريم عن كثير من الأنبياء الذين اعتنوا بالرحلة، والتي ارتبطت لديهم، بقضايا التربية، والتعليم، والجهاد، والتفكر والاعتبار، والدعوة إلى الله وتطبيق شرعه سبحانه وتعالى في

[1] أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: **لسان العرب**، دون محقق، دار صادر، ط3، بيروت، لبنان، 1414هـ، ج11، ص276.

الأرض، كما حدثنا عن أغراض الأنبياء ودوافعهم الجليلة، في أسفارهم والنتائج الخيرة التي شمل نفعها البشرية، ونجد في الرحلة وسيلة من وسائل تحقيقها مثل الحج.[1]

ثانيا– الرحلة في الاصطلاح:

يشترك مفهوم الرحلة في الاصطلاح مع مفهوم الرحلة في اللغة، في الصفة اللازمة بفعل الارتحال، وهي الحركة، غير أننا نلمس من خلال عرض أقوال بعض الاعلام، الإشارة إلى الفوائد التي يجنيها الإنسان من وراء الرحلة، مثلما نجده في قول الرحالة أبي الحسن علي المسعودي(ت 345هـ): ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمي إليه من الأخبار عن إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار، ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار، واستخراج كل دقيق من معدنه، وإثارة كل نفيس من مكمنه.[2]

جاء في القرآن الكريم أن قبيلة قريش كانت لها رحلتان . رحلة الشتاء ورحلة الصيف.وكما هو متعارف عليه بين المؤرخين والباحثين، إن هاتين الرحلتين كانتا للتجارة ذلك أن أهل مكة كانوا تجارا لايشق لهم غبار وكانت قوافلهم تجوب الصحراء من اليمن إلى الشام.

ويؤكد المؤرخ الرحالة عبد الرحمان بن خلدون(ت 808هـ)،على أهمية الرحلات في إثراء معارف المتعلم، وتنميتها، فيقول: "الرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[3].

المبحث الثاني:دواعي الرحلة وأنواعها

الرحلة فعل طبيعي عن الإنسان، عرفه منذ عرف الحياة على هذا الكوكب، رغم انعدام التيسير لأسباب القيام بها لديه، إلا أنه كابد أثناء القيام بها، واجتهد لإنجازها، ومع تقدم الحياة والأزمنة، تيسرت الرحلة شيئا فشيئا، وخصوصا عند العرب، بعدما انتشرت رقعة الإسلام، وعمل

---

[1] سميرة أنساعد: **الرحلات الجزائرية إلى المشرق دراسة في النشأة والتطور والبنية**، دار السويدي، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2011، ص19-20.

[2] نفسه، ص22.

[3] عبد الرحمن بن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تح: خليل شحاذة، دار الفكر، ط2، بيروت، لبنان، 1988، ج1، ص745.

الحكام على تطوير البريد، وتوفير العمل، وأماكن الإقامة للأغراب، إلى جانب هذه المسيرات، نجد شيوع الأمن في البلاد الاسلامية، وحرية التنقل، وبساطة العيش والحياة بين رجائها، كذلك سهولة التفاهم بين الناس، لوحدة اللغة والدين.[1]

وقد عرفت الرحلات عند العرب أنواعا كثيرة، وقد حاول الدارسون تصنيفها وحصرها في أنواع عامة، لكنهم اختلفوا في تصنيفاتهم لها، فعين صلاح الدين الشامي ستة أنواع للرحلة، ثلاثة منها ظهرت قبل الإسلام، وهي رحلة الحج، ورحلة الحرب، ورحلة السفارة، وثلاثة الأخرى ظهرت بمجيء الإسلام، وهي رحلة الحج، ورحلة طلب العلم ورحلة التجوال والطواف.

وأضاف محمد الفاسي على الأنواع المذكورة، أنواع أخرى، ورأى أن عددها خمسة عشر نوعا هي الرحلات: الحجازية، السياحية، الرسمية، الدراسية، والأثرية، والاستكشافية، والزيارية، والسياسية، والعلمية، والمقامية، والبلدانية، والخيالية، والفهرسية، والعامة، والسفارية.[2]

أما مولاي بلحميسي فيقسم الرحلات إلى أربعة أنواع:

1- الرحلة في طلب العلم:

يعتبر أدب الرحلة العلمية ثروة معرفية كبيرة، ومخزنا للقصص والظواهر الفكرية فضلا عن كونه مادة التقطها عيون تتجول وأنفس تنفعل بما ترى، ووعي يلم بالأشياء ويحللها ويراقب الظواهر ويتفكر فيها.[3]

كان الدارس إذا ما تم تعلمه في بلاده يسافر بعيدا ويغترب طويلا وينزل بإحدى عواصم العالم العربي ويجالس من اشتهر من علماء العصرويحضردروسهم ويسعى في إجازتهم، يقيد ماحدث ويلخص ما اقتطف وتصبح هذه التقاليد هيكل كتاب يعرف فيما بعد بالرحلة في طلب العلم.

---

[1] سميرة أنساعد: المرجع السابق، ص23.

[2] نفسه، ص23.

[3] زكري لامعة: "الرحلة العلمية"، **مجلة كان التاريخية**، ع22، دار الوثائق القومية، مصر، ديسمبر 2013، ص158.

هذا ما فعله محمد المكي الدرعي الناصري (أواسط القرن الثامن عشر) صاحب "الرحلة المراكشية" وقبله ابن زكور الفاسي المتوفى سنة 1120هـ/1708م الذي قضى شهورا بالجزائر العاصمة يأخذ عن علمائها ويتضلع في الفقه والمنطق والتوحيد فصور هذه الإقامة الدراسية في "نشر أزاهير البستان"، والرحلة العلمية، وأن ضحت بوصف البلدان والمجتمع فإنها تفننت في الحديث عن الحياة الفكرية والنشاط الثقافي وما هذا بالجانب الذي يستهان به.[1]

2- الرحلة الاستطلاعية:

وقد يخطر لمحب التجوال والمغامرة أن يرتحل لمدة كثيرا ما يستغرق شهورا أو سنوات يدون أثناءها مايعجبه أو يجلب انتباهه أو يخالف ماتعوده.

في هذا الصنف من الرحالين نذكر الحسن بن الوزان الفاسي المعروف بالأسد الإفريقي والذي شرع في رحلته للمشرق حوالي 1515/ 1516 م إلى أن قبض عليه قراصنة صقلية فسيق إلى البابا ليون العاشر.

ومكن السفر والتنقل في المغرب رحالتنا من كتابة ما شاهد وما سمع وما استنتج، وجعل الكل في "وصف افريقيا".

3- الرحلة للسفارة:

ظهرهذا النوع في القرن 16 م، فكان السلاطين السعديون وبعدهم العلويون يعينون بعض المقربين لهم للقيام بمهمة في البلدان الأجنبية أو الاسلامية لدى ملوكها وهذا ماوقع للتمقروتي سنة 1580 م، عندما كلفه أحمد المنصور بالذهاب إلى إصطنبول وما جرى للوزير الزياني سنة 1786 م، وعند العودة يكتب السفير "تقريرا" مفصلا يذكر فيه كل ما رأى أو حدث له أو اطلع عليه. [2]

---

[1] مولاي بلحميسي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981، ص10.

[2] نفسه، ص11.

4- الرحلة الى الحجاز:

ينسب للرسولصلى الله عليه وسلم قوله: "لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى"وعملا بهذا القول قصد جمهور الأدباء والعلماء الأندلسيين والمغاربة البقاع المقدسة وبرعوا في وصف رحيلهم وإقامتهم حتى أصبحت كتبهم دليلا لمن ينوي السفر ومرشدا لمن يحذر الخطر.

نذكر العبدري (ت 1289م) صاحب الرحلة المغربية والذي "غادرالأهل والدار...خائضا غمار الأسفار...غير مبال بالأخطار...وقبض على عصى التسيار قاطعا المهامة والقفار غايته... زيارة البقاع المقدسة حيث يتجه المسلم خمس مرات في الليل والنهار..."[1].

مر العبدري بالمغرب الأوسط سنة 688 هـ، وترجم لرجاله ووقف على معالمه وزار ومعظم مدنه.[2]

وجاء دور أبي البقاء خالد بن عيسى البلوي فحج سنة 737هـ/1336م وصنف رحلة وسماها "تاج المفرق في تحلية علماء المشرق".

وقد مر بهنين وتلمسان والجزائر وبجاية وقسنطينة وعنابة، وكان طريق العودة على نفس المدن والأمصار.[3]

ثانيا- نماذج من بعض الرحالة العرب:

1- ابن جبير: هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني البلنسي الأندلسي رحالة شهير وأديب شاعر، ولد ببلنسية سنة (540 هـ .1145 م)

[1] مولاي بلحميسي: المرجع السابق، ص12.

[2] أبو عبد الله محمد العبدري: **رحلة العبدري**، تح: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر، ط2، دمشق، سوريا، 2005، ص47.

[3] مولاي بلحميسي: المرجع السابق، ص12.

درس في بلاده مختلف العلوم حتى غدا أديبا مشهورا وشاعرا مجيدا، قام برحلة من غرناطة سنة 578 هـ إلى سبتة فأتى الاسكندرية ووصف ماشاهده في طريقه بأسلوب أدبي رفيع وهي مصدر صالح للحياة الاجتماعية والسياسية في الأقطار التي مر بها ومرجع هام لفترة من حروب الصليبيين بالمشرق وله رحلتان أولى وثانية، ولم يكن ابن جبير وحيدا في رحلته فقد رافقه جده لأمه القاضي عطية أبو جعفر الطيب. وتوفي في 26 شعبان 614 هـ. 29 تشرين الثاني 1217 م.[1]

2- ابن بطوطة: هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، رحالة ومؤرخ مغربي، ولد ونشأ في طنجة بالمغرب الأقصى. وخرج منها سنة 725هـ فطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارسواليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين والجاوة وبلاد التتر وأواسط إفريقية. واتصل بكثير من الملوك والأمراء، فمدحهم، وكان ينظم الشعر، واستعان بهباتهم على أسفاره.

عاد إلى المغرب الأقصى، فانقطع إلى السلطان أبي عنانمن ملوك بني مرين فأقامفي بلاده. وأملى أخبار رحلته على محمد ابن جُزَيّ الكَلْبي بمدينة فاس سنة 756 وسماها: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.

ترجمت إلى اللغات البرتغالية والفرنسية والإنكليزية، ونشرت بها، وترجمت فصول منها إلى الألمانية نشرت أيضا. وكان يحسن التركيةوالفارسية. واستغرقت رحلته 27 سنة ومات في مراكش.[2]

ثالثا- نموذج من الرحالة الجزائريين:

عرفت الجزائر في القرن العاشر الهجري "السادس عشر الميلادي" فترة سياسية جديدة تمثلت في دخول البلاد تحت راية الحكم العثماني بعد تشتتها، وظهور الإمارات الصغيرة، وفي هذه المرحلة،

---

[1] أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1970، ص105. نقولا زيادة: **الجغرافية والرحلات عند العرب**، الأهلية للنشر والتوزيع، ط3، بيروت، لبنان، 1982، ص161.

[2] خير الدين الزركلي: **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، لبنان، 2002، ج6، ص235.

شهدت البلاد، كغيرها من بلدان الوطن العربي مرحلة تقهقر وضعف في الحركة الثقافية وفي حركة الترحال كذلك، لتشهد القرون الثلاثة الموالية انبعاثا، وإحياء لفن الرحلة على يد عدد من الأعلام منهم:

1- أحمد البجائي: عاش أحمد أبو عصيدة البجائي خلال القرن 9هـ/15م، وهو من مدينة بجاية، كانت له علاقة قرابة مع عائلة المشدالي.

تعلم بمسقط رأسه على يد عدد كبير من الشيوخ من بينهم: محمد المشدالي، وأبو الفضل المشدالي. تميز العصر الذي عاش فيه البجائي بضعف سياسي كبير، على إثر تراجع المد الإسلامي في الأندلس، وتعرض السواحل المغاربية للتحرشات الإسبانية والمسيحية، ومما ساهم في هذا الضعف الصراعات السياسية التي ميزت دويلات المغربين الأقصى والأوسط ةالأدنى، ما أدى إلى سيطرة الإسبان على السواحل المغاربية.

عاش أحمد البجائي حياة زهد وانقطاع عن الدنيا، ومما يدلنا على ذلك مجاورته للحرم النبوي وإخلاصه للنبي صلى الله عليه وسلم، وتفانيه في تدريس الحديث النبوي الشريف، ومجالسته للعلماء والمشائخ.

كما كانت له مراسلات عبر كامل الديار الإسلامية، كان له ميول صوفي دفعه إلى الإشارة إلى سير شيوخ الطرق الصوفية وآدابهم وأخلاقهم ومواجدهم.

ارتبطت رحلات البجائي بصديقه المشدالي كثيرا، وكانت له حجتين مما ساعده على كتابة رسالتين هما: "رسالة الغريب إلى الحبيب" وكذلك "أنس الغريب وروض الأديب" وقد ضمنهما آداؤه لفريضة الحج أول مرة.[1]

2-أحمد المقري:هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي بن أبي العيش، ولد المقري بتلمسان سنة 986 هـ/ 1572 م،بعد أن انتقلت عائلته وأجداده الأولون من مقرة، بشرق مدينة المسيلة[1]

[1]عبد القادر صحراوي: "الرحلات الجزائرية إلى بلاد الحرمين من خلال رحلتي البجائي والورثلاني"، **الحوار المتوسطي**، جامعة الجيلالي اليابس، ع3، سيدي بلعباس، الجزائر، 2018، ص40-41.

منذ القرن السادس الهجري تلقى تعليمه الأول على يد شيوخه الأوائل، كعمه أبي عثمان سعيد المقري، وأبي عبد الله بن مرزوق التلمساني، ونبغ منذ نعومة أظافره في العلوم والادب.

عرف المقري بكثرة الترحال في البلدان المغربية والمشرقية، وساهمت هذه الخاصية في تقدم أحمد المقري، واشتهاره بين الناس،وقد تعددت أسباب رحلاته، من سعي نحو لقاء الشيوخ والعلماء المشارقة والأخذ عنهم، وتدريس طلبة العلم ماخبره، وتعلمه من علم، كما تنقل بين البلدان لأغراض أخرى كالتعبد من خلال زيارة الأماكن المقدسة كمكة المكرمة والمدينة المنورة، أو السياحة ولقاء الأحباب والتعرف على الأعيان والعلماء.

تجول المقري في عدة مدن مشرقية، كالقاهرة، مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقدس الشريف، وغزة والخليل، ودمشق،واستطاع بفضل كل تلك المناطق التي زارها، أن يحقق الشهرة التي يستحقها ويكسب محبة الناس له، بأعماله الجليلة التي أنجزها كتدريسه لمختلف العلوم ومن أهمها، علم الحديث، والتفسير والقراءات والفقه والأدب وعكف على التآليف، فألف في المدينة المنورة "فتح المتعال في مدح النعال" و"أزهار الكمامة في أخبار العمامة ونبذة المخصوص بالإسراء والغمامة"، وألف في مصرأشهر مؤلفاته، وهو نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب كما له العديد من القصائد، والموشحات، وأكثرها في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام.

لقبه سلطان الحرمين الشرفين، شريف مكة، محسن بن الحسين العلامة الإمام، الحبر الفهامة، وإمام المحدثين، لسان المتكلمين، حجة المناظرين، مؤسس مقاعد التدريس والفتوى، وممهد قواعد التقديس والتقوى.

---

[1] **مسيلة:** هي مدينة عتيقة عامرة في تخوم صحراء نوميديا في أرض طبنة أسسها أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله سنة 313هـ/925م، تولى بناءهاعلي بن حمدون الجدامي، أيام الدولة الفاطمية، يذكر أنها تمر بنهر سهر يمر غربيها وهو من أجل الأنهار، وحسب ما قال البكري فقد سميت كذلك بالمحمدية، بينها وبين قلعة بني حماد حوالي 12 ميل سكانها مزيج من قبائل هوارة وسدراتة ومزاتة وغيرها، وللمدينة أسواق رائجة وبساتين متنوعة المحاصيل بالإضافة للقطن كما يعرف أهلها تربية الأغنام والأبقار. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص220.

ساءت الحالة الصحية للمقري في سنوات حياته الأخيرة، جعلته بعد رجوعه من دمشق في محرم 1441 هـ، ينوي العودة إلى دمشق للإقامة بها بصفة دائمة، لكن القدر حال دون تحقيق ذلك، فتوفي في شهر جمادى الآخرة سنة " 1041 هـ / 1631 م" ودفن في مقبرة المجاورين.[1]

المبحث الثالث: التعريف بمحقق رحلة الشيخ الحسين الورثلاني والنسخ المعتمدة في ذلك

أولا– التعريف بمحقق رحلة الشيخ الحسين الورثلاني:

ولد محمد بن أبي شنبالمدية سنة 1869م، في أسرة تعود أصولها إلى مدينة بروسة التركية، وكانت على جانب من الغنى واليسار وتعمل بالزراعة.

حفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظافره، وفي سن السادسة التحق بالتعليم الرسمي الفرنسي، أنهى دراسته الثانوية ثم التحق بمدرسة المعلمين وتخرج منها مدرسًا للغة الفرنسية.

كان محمد بن أبي شنب عصامي التكوين، له باع في اللغة العربية، حصل على شهادة فيها معتمدا على نفسه، وبعدها دخل الجامعة ليتحصل على الدكتوراه فيها إلى جانب إتقانه لعدة لغات أجنبية كالعبرية والإيطالية والإسبانية والألمانية واللاتينية والفارسية والتركية مما أكسبه ثقافة متنوعة ومعارف واسعة.

بدأ حياته العملية معلمًا بإحدى مدارس القرى القريبة من مدينته، وفي عام 1894 عين مدرسًا للغة العربية بجامعة الجزائر، ثم مدرسًا بالمدرسة الكتانية بقسنطينة في 1898، وانتقل بعدها إلى المدرسة الثعالبية بالجزائر العاصمة، وفي عام 1903 عين مدرسًا بكلية الآداب بجامعة الجزائر وترقى فيها إلى أستاذ محاضر ثم أستاذ رسمي (1924) بعد أن حصل على الدكتوراه وظل يشغله حتى وفاته.

نشط في مجال تحقيق الكتب التراثية ونشرها، وفي مجال الترجمة نقل عددًا من الكتب العربية إلى اللغات الأجنبية، كما شارك في الحياة الثقافية بمقالاتهالتي كان ينشرها بالجزائر، وبحضوره

[1] أبو العباس أحمد المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 1968، ج2، ص ص480-483. سميرة أنسعد: المرجع السابق، ص44-45.

للفاعليات الثقافية والمؤتمرات العلمية ولا سيما التي تعلقت بالاستشراق، كما كان عضوًا في المجمع العلمي العربي بدمشق (1920) والمجمع العلمي الاستعماري بباريس (1924).[1]

ثانيا– وصف النسخ المعتمدة في تحقيق رحلة الشيخ الحسين الورثلاني:

اعتمد بن أبي شنب في تحقيق نص الرحلة على أربع نسخ خطية(**أنظر الملحق 01**) هي كالتالي:

1- نسخة مخطوطة بخطوط مغربية مختلفة مقابلة على نسخة منقولة من مسودة المؤلف مجموع صفحاتها 642 في كل صفحة من 21 إلى 32 سطرا وكل 33 كراسة غير مخيطة متخللة بأوراق مورقة طولها 271 مليمتر في عرض 210 مليمتر.

2- نسخة مخطوطة بخطوط مغربية مغربية غالبها جميل مقابلة كالتي قبلها على مسودة المؤلف مجموع أوراقها 253 في كل صفحة 21 سطرا و31 كراسة غير مخيطة متخللة أيضا بأوراق مورقة طولها 207 مليمتر في عرض 190 مليمتر وهي أصح النسخ وأقل بياضا.

3- نسخة محفوظة بخطوط مغربية غالبها غير جيد مؤرخة بيوم الجمعة الفاتح لشهر شعبان عام ألف وثلاثمائة وثلاثة عشر (1313) مجموع صفحاتها 640 صفحة في 37 كراسة غير مخيطة متخللة بأوراق مورقة في كل صفحة 20 سطرا وطولها 265 مليمترا في عرض 195 مليمترا .

4- نسخة مطبوعة من الحجر في حاضرة تونس سنة 1321 بتصحيح الشيخ علي الشنوفي والشيخ الأمين الجريدي وهذه النسخة مشتملة على ثلاثة أجزاء، في الأول 250 صفحة وفي الثاني 214 صفحة وفي الثالث 260 صفحة ، غير أنه يمكن أن تعتبر نسخة مخطوطة بخط مغربي كاد، لايقرأ في

[1] عمر بلعربي: "محمد بن أبي شنب سيرة ونضال"، **مجلة أنثروبولوجية الأديان**، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، ع13، 2018، ص150 ومابعدها.

بعض المواضع لانطماس الحروف وتعثر القلم والتمجمج أو تفشي المداد ، وزيادة على ذلك لم ينبه في غير موضع عن بياض الموجود في الأصل.[1]

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورثلانية)**، تح: محمد بن أبي شنب، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، مصر، 2006، مقدمة المحقق، ص5-6.

الفصل الأول: ميلاد ونشأة الشيخ الحسين الورثلاني ومصادر رحلته

المبحث الأول: التعريف بشخصية الحسين الورثلاني

المبحث الثاني: المصادر المعرفية في رحلة الشيخ الحسين الورثلاني

المبحث الثالث: نماذج من بعض أعلام الفكر والثقافةفي رحلة الشيخ الحسين الورثلاني

المبحث الأول: التعريف بشخصية الحسين الورثلاني (ت1193هـ/1779م)

أولا– ميلاده ونشأته:

الحسين بن محمد السعيد بن الحسني الورثلاني، ينتسب إلى أسرة علم تعود أصولها حسب الروايات المتداولة إلى شرفاء تافلالت.[1]يذهب الورثلاني إلى أنه من أسرة عربية شريفة، وكان جده قد جاء من ميلة وصاهر أسرة محمد أمقران حاكم منطقة قنزات وأصبح شيخ علم معترف له وأسس نفوذ الأسرة الروحي في المنطقة، حتى أنه وبعد أن توفي أقيمت له قبة باعتباره من كبار المرابطين، وهكذا اجتمع في أصول الورثلاني الدين والدنيا، الدين عن طريق جده ووالده اللذين كانا أيضا من المرابطين، والدنيا عن طريق أخواله أولاد أمقران الذين كانوا حكاما ورجال سيف.

وقد زوج الورثلاني نفسه من إحدى بنات هذه الأسر الكبيرة، وهي أسرة المسعود بن عبد الرحمن بن عيدل، كما كانت أسرته على صلة بعائلات قسنطينة.[2]

ولد سنة 1125هـ/1713م، وتوفي في شهر رمضان عام 1193هـ، وذهب البعض إلى أنه توفي عام 1194هـ، واستناد على هذا عاش الحسين الورثلاني ثماني وستين أو تسع وستين سنة.[3]

وتلقى مبادئ الفقه واللغة اقتداء بأبيه محمد السعيد الورثلاني وجده الحسين بن محمد الشريف الورثلاني، ولم يكتفي الشيخ حسين الورثلاني بالعلوم الشرعية فحسب، بل اعتنى بدراسة الأدب والتأليف، وبالتاريخ، وبذلك اشتهر الورثلاني في بلدته وتعدت بعد ذلك شهرته خارجا بفضل رحلاته الكثيرة داخل الوطن وخارجه، وكان له دور في الصلح بين القبائل وإعانة الفقراء بمستلزمات العيش وتوضيح المسائل الدينية للسائلين عنها.[4]

---

[1] يحي بوعزيز: **أعلام الفكر والثقافي في الجزائر المحروسة**، دار البصائر، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ص44.

[2] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1981، ج2، ص408.

[3] الحسين بن محمد الورثيلاني: المصدر السابق، ص6.

[4] سميرة أنساعد: المرجع السابق، ص46.

ثم اختلف إلى بعض الزوايا ومعاهد العلم بناحية القرقور وجهات جرجرة ودلس والجزائر. وقد ارتبط الشيخ الحسين الورثلاني بالطريقة الشاذلية وعد من الشيوخ المرابطينوظل ملتزما بحياة الزهد والتقشف ومتصفا بالجد والعمل والرغبة في الاستزادة من العلوم الفقهية واللغوية.[1]

أدى الحسين الورثلاني فريضة الحج ثلاث مرات، الأولى صحبة أبيه وهو ابن الثامنة عشرة 1153هـ/1740م، والثانية عندما بلغ الواحدة والأربعين 1166 هـ/1752م، والثالثة واستغرقت ثلاث سنوات 1181هـ/1767م أتمها في الرابعة والخمسين من عمره، وقد حرص على أن يوسع معارفه وينمي معلوماته أثناء حجه وإقامته بالحجاز ومصر(**أنظر الملحق 05**)حيث درس بالقاهرة وأخذ على شيوخ الأزهر آنذاك أمثال محمد البليدي والحفناوي[2] والجوهري[3] وخليل الأزهري والنفزاوي والعفيفي[4] والملوي والصباغوالعمروس وغيرهم.[5]

بعد ذلك آثر الاستقرار بمسجد أسرته معتكفا للعبادة منقطعا للتدريس والوعظ. وهذا ماجعل الحفناوي ينوه به عندما عرّف به في كتابه تعريف الخلف برجال السلف بقوله:"هو الإمام العالم العلامة الهمام شيخ مشايخ الإسلام الورع الزاهد الصالح العابد المتبع لأثر الرسول صلى الله عليه

---

[1] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص44.

[2] **الشيخ الحفناوي (1269 . 1361 هـ / 1852 . 1941 م)**: هو محمد الحفناوي بن أبي القاسم الديسي بن إبراهيم الغول، أبو القاسم، كاتب، شاعر، له اشتغال بالتاريخ، ولد ببلدة الديس بالقرب من مدينة أبي سعادة وتعلم في زاوية طولقة. عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، بيروت، لبنان، 1980، ص212.

[3] **أبو القاسم الجوهري**: هو عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغافقي المصري، الفقيه المالكي الذي صنف مسند الموطأ. كان فقيهًا ورعًا مستفيضًا خيرًا، من جلة الفقهاء. مات في رمضان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة. جلال الدين السيوطي: **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، مصر، 1967، ج1، ص451.

[4] **عبد الوهاب العفيفي**: هو عبد الوهاب بن عبد السلام بن أحمد بن حجازي بن عبد القادر العفيفي المالكي البرهاني، ولد بمدينة عفيف إحدى قرى مصر ونشأ بها، ودرس على علماء مصر كالشيخ محمد البليدي وسالم النفزاوي، توفي سنة (1172هـ/1758م). عبد الرحمن المجاجي: **رحلة المجاجي**: تح: سعاد آل سيد الشيخ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط1، الإمارات، 2017، ص67.

[5] حنيفي هلايلي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الهدى، ط1، الجزائر، 2008، ص217.

وسلم الجامع بين المعقول والمنقول، عبر الحقائق وكثر الدقائق مفيد الطالبين ومربي السالكين وقدوة العلماء العاملين وبقية السلف الصالحين "[1].

ولقد اشتهر أمره فكان مقصد الزوار وطلبة العلم من مختلف الجهات حتى وافته المنية في شهر رمضان 1193 هـ /1779 م،عن سن تناهز الثمانية والستين،ودفن بموطنه "قرية أنو" وظل ذكره عطرا لما تركه من ذكر حسن وماخلفه من مصنفات وتآليف عدة، عرف منها على الخصوص: المنظومة القدسية في التصوف للشيخ عبد الرحمن الأخضري، وتعليق على حاشية السكتاني، وكتاب المرادين، ورسالة في شكل جواب على قول بعضهم "خضت بحرا وقفت الأنبياء بساحله"، وشرح لم يكمله على محصل المقاصد لأحمد بن زكري التلمساني، وحاشية على صغير الخرشي، وتعليق على شرح الصغرى للسنوسي، بالإضافة إلى قصيدة ميمية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم تتألف من خمسمائة بيت، وبعض الرسائل الإخوانية.

اشتهر الحسين الورثلاني برحلته التي انتهى من املائها عام 1182 هـ، ووضع لها عنوانا استوحاه من مضمونها وهو: "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" وضمنها مشاهداته وملاحظاته وتعليقاته أثناء سفره لأداء فريضة الحج وقد وصفها الحفناوي بما يلي: "الرحلة السنية التي سارت بها الركبان وقد دعا لناسخها ومالكها وناظرها فهي حصن حصين..."[2].

تعود أهمية رحلة الورثلانيإلى مااشتملت عليه من معلومات في غاية الأهمية تتصل بالحياة اليومية والحالة الاقتصادية والمعاشية وأسلوب الحكم ومستوى الثقافة وطبيعة العادات ونوعية اهتمامات العامة في البلدان التي تعرف عليها في سفره أوأثناء إقامته بالحجاز وهي حسب خط رحلته ذهابا: مجانة، زمورة، قصر الطير، وطن ريغة، أولاد دراج،بريكة، بسكرة، سيدي عقبة، الخنقة، (**أنظر الملحق 02**)أولاد سيدي ناجي، نفطة[3]، الحامة، توزر، زوارة، طرابلس، تاجوراء،ليدة، زليتن،

---

[1] أبو القاسم الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، دون محقق، مطبعة بيير فونتان الشرقية، دط، الجزائر، 1906، ص133.

[2] الحفناوي: المصدر السابق، ص133-134.

[3] **نفطة:** مدينة بإفريقية كبيرة قديمة، بينها وبين مدينة توزر 20 ميلا، لها غابة كثيرة النخل والبساتين وجميع الفواكه، وهي كثيرة الخصب، لها نهر يسقي بساتينها، أهلها الأصليون من بقايا الروم. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص206.

مصراته، بلاد سرت وثم إقليم برقة والاسكندرية[1] والقاهرة والمدينة ومكة. أما في طريق عودته فقد مر بالقاهرة والاسكندرية وطرابلس وتونس(**أنظر الملحق 03**) والكاف وقسنطينة وزمورة قبل أن يحل ببلدة بني ورثلان.[2]

ثانيا– صفاته الشخصية:

1– الصفات الجسمانية:

أما ما يمكن استنتاجه من ملامح جسمانية، تعلقت بالرحالين الجزائريين فهو ضئيل، يندر ظهوره في النصوص ومن أمثلته القليلة القوة الجسدية التي كان يتمتع بها الحسين الورثلاني ما أهله أن يقوم بدور الحارس والراعي لأفراد الركب الجزائري ومدافعته عن الضعفاء خلال السفر، ومواجهته مع جماعة من أصدقائه قطاع الطرق والمحاربين الذين كانوا يترصدون الحجاج في الأماكن القفرة والخالية من العمارة كصحراء برقة وفيافي مصر والحجاز، أو كذلك الضعف البدني وعدم المقدرة على استهلاك الإدام والسمن، وهو ما أفصح عنه الورثلاني في مرحلة تواجده بمصر.[3]

وقد بيّن الورثلاني في المقدمة أنه كان ينوي كتابة رحلة عظيمة تكون مفخرة له ولبلاده، ولكنه سرعان ما ظهر عليه الفتور، وأكثر من النقل والاستطراد، وتداخلت معلوماته فقال: "وبعد فإني لما

---

[1] **الإسكندرية:** هي مدينة بمصر على ساحل البحر الأبيض المتوسط، يقال: إن أول من أنشأها الإسكندر الأكبر332 ق.م، اشتهرت بمنارتها التي يبلغ طولها 132 م، استولى عليها الرومان في سنة 30 ق. م، كانت مركزا مسيحيا خطيرا وقاعدة لمدرسة لاهوتية، فتحها عمرو بن العاص رضي الله عنه مرتين بعد قتال وممانعة الأولى سنة 20 هـ / 642 م، ثم سنة 32 هـ / 645 م، وذلك لنقض أهلها العهد أيام عبد الله بن أبي السرح، حتى عاد إليها عمرو بن العاص رضي الله عنه، استولى عليها الأتراك 922 هـ /1516 م، ظلت عاصمة لمصر حتى سنة 1051 هـ / 1641 م، تعزز مركزها بعد حفر قناة السويس 1236 هـ / 1820 م، تعتبر نقطة مواصلات بحرية وبرية ومركزا صناعيا هاما، اشتهرت بمكتبتها وجامعتها ذات ثماني كليات. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص 193.

[2] عبد الرحمن عزي: **التواصل القيمي في الرحلة الورثلانية**، كنوز الحكمة، دط، الجزائر، 2011، ص44.

[3] سميرة أنساعد: المرجع السابق، ص104.

تعلق قلبي بتلك الرسوم، والآثار، والرباع، والقفار، والديار، والمعاطن والمياه والبساتين والأرياف والقرى والمزارع والأمصار، والعلماء والفضلاء"[1].

2- الصفات الخلقية:

حرص الورثلاني عند وصوله إلى البقاع المقدسة رفقة الركب الجزائري على أن يتم كل الحجاج مناسكهم على أكمل وجه ليتم لهم الأجر، فنجده قد أخذ بيد بعض ممن لا يحسنون أداء الفريضة، فقام يوجههم تارة بالقول كتعليمهم الأدعية، وبالفعل بمرافقتهم في الطواف والسعي بين الصفا والمروة، حتى يتأكد من سلامة حجهم وتمام نسكهم.

قال الورثلاني في ذلك: "طفت بهم طوافا كاملا بشروطه وانتفاء موانعه، مع الدعاء الوارد فيه، أعلمهم إياه، ولما رأى أهل مكة فعلي ذلك تغيروا وقالوا: ألم تعلم أن أهل مكة لا ينتظرون إلا هذا الموسم، فقالوا طف لنفسك واترك الناس، فقلت أنا: أطوف بهم وأعلمهم وأنتم خذوا الأجرة منهم"[2].

يتبين من رد الورثلاني بهذا الأسلوب على محادثيه صفات حميدة كالتسامح، واللين ورجاحة العقل في التعامل مع الغير.

ومن صفاته كذلك أنه كان عطوفا متأثرا بأحوال المسلمين كما أخبر هو بنفسه في رحلته التي قادته إلى إحدى مطاعن طرابلس، حيث صادفت رحلته الحجية الثالثة عام 1179هـ حلول المجاعة بتلك المنطقة، ودامت حتى عودة الرحالة، بل اشتدت أكثر واتسعت حتى طالت الجبل الأخضر، وبن غازي، ودرنة، ومسراتة، وقد عانى أهل طرابلس كثيرا منها وساءت حالتهم الصحية، حتى أصبحوا يبيعون أولادهم لركب الحجاج مقابل مؤونة يتقوتون بها، وقد تأثر الورثلاني شديد التأثر لمناظر الناس وهم يتسولون ويطلبون القوت من الحجاج فلا يجدون استجابة لهم "فتراهم يردونهم بالشتم واللعنة والخزي، وبعضهم بالضرب، فلا يكادون يسمعون لتضررهم من شدة جوعهم، فنادينا في

[1] الحسين الورثلاني: المصدر السابق، ص410.
[2] الورثلانيك المصدر السابق، ص454.

الركب ولعل الله يسخرهم فنقسمهم على حسب الطاقة والضعف، لأن ذلك واجب علينا، فلم يسمعوا لنا لقلة زادهم"[1].

ثالثا – زيارة الشيخ الحسين الورثلاني لبعض العلماء الذين أجازوه:

عند زيارة الشيخ الورثلاني بونة أي عنابة (على قوله) "من فيها...أبو مروان وأولاد سيدي أحمد ابن الشيخ سيدي زروق لاسيما من كتب اسم محمد صلى الله عليه وسلم في يده اليسرى، وأنه أجازني رضي الله عنه في سائر العلوم النقلية والعقلية..."[2].

وممن أجاز الشيخ الورثلاني سلطان العارفين وإمام المحققين (كما يصفه): "الشيخ الحفناوي،نفعنا الله به وبأمثاله وكتب الإجازة بخط يده رضي الله عنه في المعقول والمنقول...وكذا لقنني الذكر[3] على طريق أشياخه وأذن لنا في الإعطاء والإذن..."[4].

كما أخد الشيخ الورثلاني على المحقق المدقق الكامل ذو الفضائل "شيخنا سيدي أحمد الأشبيلي تلميذ الشيخ الحفناوي..."[5]، كما أخد عليه القراءات السبعية إفرادا "...الأستاذ المحقق والفاضل المدقق سيدي أبو القاسم الربعي القسنطيني..."[6]، وممن اجتمع بهم الورثلاني بمصر "الشيخ الجوهري[7]، والشيخ الغرياني، والشيخ سيدي أحمد الحبيب الفيلالي "[1].

---

[1] نفسه، ص706.

[2] الورثلاني: المصدر السابق، ص347.

[3] **الذكر**: يعتبر علماء التصوف الذكر من أعظم أركان التصوف، مستندين في ذلك على الكتاب والسنة، وهو عندهم الخروج من ميدان الغفلة الى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف، أو لكثرة الحب، وهو بساط العرفين ونصاب المحبين وشراب العاشقين، حقيقته ان تنسى كل شيء سوى المذكور، وهو المولى عز وجل، واقسامه ثلاثة: ذكر اللسان، وذكر القلب (ذكر الخواص)، وهي المناجاة، وثالث هو ذكر القلب واللسان، وهو أفضلهم، كما أنه يعد منشور الولاية فمن أعطي الذكر، فقد أعطي المنشور. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص 122.

[4] الورثلاني: المصدر السابق، ص348.

[5] نفسه، ص353.

[6] نفسه، ص355.

[7] **علي الجوهري**: هو علي بن زين العابدين بن محمد بن أبي محمد عبد الرحمن الأجهوري، نور الدين أبو الإرشاد عرف بالأجهوري نسبة لقرية أجهور بريف مصر لقب بشيخ المالكية في عصره بمصر، ولد وتوفي في (967 هـ . 1557 م / 1066 هـ . 1657

كما زار الشيخ الورثلاني في حجته الثانية الشيخ البليدي[2]: "...وهو عالم فاضل محقق مؤلف وقد ألف حاشيةعلى الشيخ عبد الباقي...وقد أجازني في العلوم كلها وزبر ذلك بخط يده، وقد حضرت عليه في الحجة الأولى بعض الدروس في الرسالة..."[3].

كما زار الشيخ العمروسي فيقول: "... وزرت أيضا الشيخ...وهو شيخنا الإمام العمروسي وقد أجازني أيضا غير أنه زبر الإجازةبعض تلامذته بإذنه وإملائه عليه وقد ختمها وكتب على ذلك بخط يده وطبع عليه بطابعه..."[4].

كما زار الشيخ خليل المغربي حين قال "... وزرت أيضا شيخنا... الشيخ خليل المغربي... وقد قرأت عليه القطب على الشمسية أعني التصورات والعكوس والتناقض بحاشية السيد عليه وقد أجازني بخط يده في سائر العلوم..."[5].

كما زار الشيخ الورثلاني الشيخ الملوي حيث قال "وزرت أيضا الشيخ العلامة... شيخنا الملوي وقد أجازني في سائر العلوم وزبرذلك تلميذه لأنه أقعد لايقدر أن يقوم وهو مضطجع على سريره، وقدكبر سنه بأن عمره زاد على المائة سنة..."[6]، وممن زاره الشيخ الورثلاني الشيخ سيدي علي

م)، أخذ عن شيوخ كثر منهم: محمد الرملي وحسن الكرخي وأخذ عنه البابلي والنور الشبراملسي، والشهاب العجمي، وله مؤلفات عدة منها: شروحه الثلاثة على مختصر خليل وشرح ألفية بن مالك. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص341.

[1]الورثلاني: المصدر السابق، ص ص359-361.

[2]**محمد البليدي (ت 1176 هـ / 1762 م)**: هو أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي، المالكي، الشهير بالبليدي أخذ العلم عن أعلام منهم أحمد النفزاوي، و محمد الزرقاني، وإبراهيم الفيومي وغيرهم، وأخذ عنه أعلام منهم الدردير، والصعيدي وعلي بن عبد الصادق، له تآليف منها حاشية على شرح عبد الباقي الزرقاني، الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار تح: إبراهيم شمس الدين. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص67.

[3]الورثلاني: المصدر السابق، ص340.

[4]نفسه، ص340.

[5]نفسه، ص399-340.

[6]نفسه، ص341.

الصعيدي[1] حيث قال "وممن زرته أيضا...سيدي علي الصعيدي وقد أجازني بخط يده في جميع العلوم..."[2]، وممن أجازوه أيضا كما قال الورثلاني: "... وممن أجازني أيضا وزرته الشيخ علي الفيومي[3] الفاضل العارف بالله..."[4].

رابعا– القيمة التاريخية والأدبية لرحلة الشيخ الحسين الورثلاني:

يتصف إنتاج الورثلاني فيما سجله في رحلته من ملاحظات أو أورده من معلومات أو وضعه من تعاليق، بمميزات تحدد قيمته التاريخية ومستواه الأدبي أهمها:

1– الإلتزام بالصدق في كل ما أورده من أحداث ووقائع فهو يدلي برأيه بكل صراحة ويجاهر بالحق إن رأى في ذلك مصلحة، فلم يتردد مثلا في مصارحة حاكم طرابلس علي باشا القرمانلي عند مقابلته بقوله: "وقلت له عند اجتماعي به فلا بد أن تجعل محلا يصل إليه جميع الناس يبثون إليك شكواهم..، وأما الآن فلا يراك إلا أهل دولتك فربما أظهروا لك غير ماكان شرا أو خيرا"[5].

2– تحري الحقيقة، فهو لايكتفي بما شاهده أو روي له بل يلتجئ في بعض الأحيان تأكيدا لروايته أو استكمالا لوصفه إلى الاقتباس من كتب الرحالة السابقين أمثال أبي سالم العياشي[6] وابن ناصرالدرعي

---

[1]**علي الصعيدي** (**1112 هـ . 1700 م / 1189 هـ . 1775 م**): هو أبو الحسن علي أحمد الصعيدي العدوي، من شيوخه عبد الوهاب الملوي، وشبلي البرلسي، روى ودرس بالأزهر، فأخذ عنه: البناني والقلعي، له عدة مؤلفات منها حاشية على ابن التركي وعلى الزرقاني على العزيمة. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص67.

[2]الورثلاني: المصدر السابق، ص341.

[3]**علي الفيومي**: هو أبو الحسن علي الفيومي المالكي (ت رمضان 1185 هـ / 1771 م) كان شيخ رواق أهل بلاده حضر دروس إبراهيم الفيومي، وعلي الصعيدي، وله في علم الكلام باع طويل. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص67.

[4] الورثلاني: المصدر السابق، ص343.

[5]نفسه، ص730.

[6]**أبو سالم العياشي**: هو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي (1037 . 1090 هـ / 1628 . 1679 م)، يصفه القادري بـ: "العلامة الكبير المحقق النحرير الفاضل المشارك في أنواع العلوم والمدرك الرواية الرحالة الجوال"، من قبيلة آيت عياش الأمازيغية جاب المغرب طلبا للعلم وبعد إجازته من طرف عبد القادر الفاسي حج للمرة الأولى سنة 1649 م، وفي حجته الثانية سنة 1653 م، ألف رحلته "ماء الموائد" التي نالت شهرة كبيرة، كما ألف العياشي كتبا أخرى منها: تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية في التصوف، و اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر وغيرها. توفي العياشي في وباء سنة 1679 م. انظر:

والتجاني والعبدري[1] وابن رشد وغيرهم، كما أنه لايتردد في أن يقتبس أيضا من فقرات بعض كتب المسالك والبلدان والتراجم والتاريخ، ككتب البكري وابن حوقل والسيوطي، والسمهوري، والمقريزي، والغبريني، وابن فرحون، وابن الشماع، وقد يشير إلى مصدرها وقد يثبتها دون ذكر صاحبها.

3- عرض الواقع كما هو وهذا ماجعل روايته للأحداث يطبعها التشاؤم وتتخللها العبارات القاسية فهو شأنه شأن العبدري يشتكي انعدام الأمن بالطرق وظلم الحكام وجورهم وضعف الدين وقلة الرغبة في فعل الخير، ويؤاخذ لنا على طبائعهم التي يرى مجانبة للأخلاق الفاضلة، وينتقد رفاقه وأهله على ما تصفوا به من سلوك ويصف المجتمع الجزائري قائلا: "أهل وطننا فيهم الغلظة والجفاء وسوء الأدب وعدم ادعائهم للحكام"[2]، ويذكر الركب الجزائري"لا حكم عندهم أصلا ولا يتفقون عند الأمر والنهي"[3].

4- التحلي بالورع والتقوى، فهو يكثر الثناء عند ذكره للأشخاص الذين تعرف عليهم ونالوا إعجابه ويصفهم بعبارات الشكر والتقدير والإجلال،كما يبدو حرصه على التقرب من رجال العلم وزيارة أضرحة الأولياء الصالحين والدعاء عندها كأضرحة عقبة بن نافع وخالد بن سنان دون أن يهمل التعريف بهم وبأعمالهم لأنهم حسب قوله: "إنما يكمن في ذكر الإخوان...وبيان أوصافهم... ليحقق الجامع بأحوالهم... وبأوصافهم"[4] وهو مع ذكره للكرامات وروايته لبعض الخرفات فإنه لايطمئن إليها

محمد بن عبد الوهاب المكناسي: **رحلة المكناسي**، تح: محمد بوكبوط، دار السويدي، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2003، ص304

[1] **العبدري**: هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن احمد بن منصور بن مسعود العبدري، ولد بالمغرب الاقصى في منتصف القرن 7 هـ، وبعد تلقي تعليمه على فقهاء حاجة دفعته رغبته في طلب العلم والمعرفة من علماء المغرب والمشرق إلى القيام برحلة لأداء فريضة الحج، فكانت نتيجتها رحلته المشهورة "بالرحلة العبدرية"، توفي سنة 688هـ/1289م. انظر: عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص121.

[2] الورثلاني: المصدر السابق، ص622.

[3] نفسه، ص622.

[4] نفسه، ص178.

ولا يسلم بصحتها إذ يسجلها في خانة النوادر واللطائف ويعلق عليها غالبا بقوله: "والله اعلم" وقد يثبت الأحكام الشرعية والآراء الفقهية التي لها صلة بها.

5- التزامه أسلوبا يتميز بكثرة المحسنات اللفظية والكلمات المترادفة في شكل موزون مع اقتباسات عديدة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وهذا ومن الراجح أن بعض الأخطاء اللغوية والاستطرادات والتكرار المخل بالمعنى والذي قد يلاحظ في سياق الرحلة يعود أساسا إلى طريقة تسجيل الرحلة ذاتها فقد أملاها الورثلاني على طلبته اعتمادا على مذكرات كان قد كتبها أثناء استراحته وهو في طريق السفر دون أن يقوم بعد ذلك بمراجعتها وتصحيحها.

تعتبررحلة الورثلاني "نزهة الأنظار" من المصادر الأساسية التي لايمكن الاستغناء عنها للتعرف على أوضاع البلاد الجزائرية وأقطار تونس وطرابلس(**أنظر الملحق 04**) ومصر والحجاز في القرن الثاني عشر للهجرة الثامن عشر للميلاد، فهي تسجيل حي للوضع الاجتماعي والاقتصادي ووصف دقيق لحالة المسالك والعمران ومحطات القوافل ونقاط الماء وصورة صادقة للواقع الثقافي، ولعل أهم مايتميز به الورثلاني في هذا الجانب هو ترجمته للعديد من صلحاء وعلماء ومشائخ وطنه.[1]

المبحث الثاني: المصادر المعرفية في رحلة الشيخ الحسين الورثلاني

إن نص الرحلة يدل على أننا لسنا أمام كاتب مرموق ذو معرفة دينية"متواضعة" يحسن تدوين تفاصيل وقع الحياة وأبعاد الأحداث التي عايشها في هذه الرحلة "المشوقة" فحسب، ولكن أمام شخصية ثقافية بارزة، بل ومن أشهر علماء زمانه إن كان ذلك في الفقه أو التصوف أو علم الكلام أو حتى الفلسفة إضافة إلى أسلوبه الذي يجمع بين الأسلوب الروائي والنثر والسجع والشعر والحكمة البالغة.

وما يدل على ذلك الترحاب الكبير الذي يلقاه في الكثير من المحطات الرئيسة في سفره ذهابا وإيابا إن في زمورة أو طرابلس أو القاهرة أو مكة أو قسنطينة، وتتضمن هذه المصادر ما ذكره بشكل

[1] ناصر الدين سعيدوني: **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1999، ص ص418-421.

مباشر: "وإن اعتمادي في ذلك على رحلة شيخنا وقدوتنا ومن على الله وعليه اعتمدنا سيدي أحمد بن محمد ناصر الدرعي الجعفري...وأيضا من بعض كتب التاريخ كنبذة المحتاجة في ذكر ملوك صنهاجة ومختصر الجمان في أخبار أهل الزمان وكذا حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة وغيرها"[1].

أولا – الرحلات السابقة:

يبدو أن الحسين الورثلاني قد اطلع على الرحلات السابقة التي سارت في نفس المسار إلى مكة بحيث أنه عندما يتوقف عند قرية أو مسجد أو وادي أو مقبرة يذكر ما ذكرته الرحلات السابقة مثل رحلة أبي سالم العياشي، ورحلة أحمد بن ناصر، ورحلة التجاني، ورحلة أبي سالم، ورحلة العبدري.

ومن الرحلات التي اعتمد عليها الورثلاني نجد رحلة العياشي في قوله وهو يصف طرابلس: "وفي رحلة أبي سالم العياشي وهي مدينة مساحتها صغيرة، وخيراتها كثيرة، ونكايتها بالعدو شهيرة"[2].

كما نجد الورثلاني قد اعتمد على رحلة أحمد بن ناصر في قوله: "قال شيخ شيوخنا سيدي أحمد بن ناصر في رحلته مانصه أقول تاجورة بوزن باكورة،قال التجاني: وهي قرية عامرة، وبها قصر متسع يجتمع على دور كثيرة"[3].

كما اعتمد على رحلة التجاني في قوله: "وقال التجاني في رحلته وكذلك رأيت الأجدابي يكتبها حيثها..."[4].

كما ذكر دمشق من خلال رحلة العبدري في قوله: "وقد ذكر العبدري في رحلته هذه المدينة وذكر أنه وجدها خالية والذي يظهر أنها خلت قبل الإسلام..."[5].

---

[1] الحسين الورثلاني: المصدر السابق، ص13.

[2] نفسه، 183.

[3] نفسه، ص213.

[4] نفسه، ص200.

[5] نفسه، 224.

ويؤشر ذلك إلى أن الكاتب قد حدد مسار الرحلة بدقة وكان يدون ملاحظاته وتفاصيل الأحداث وخاصة أسماء علماء كل ناحية ومنطقة رغم أننا لم نعثر في رحلته عن الكيفية التي كتب بها نص الرحلة والأرجح أنه أنهى تدوين النص بعد مدة من عودته من تلك الرحلة المثيرة.

ثانيا – كتب الفقه والتفسير:

ويتضح في نص الرحلة أن الحسين الورثلاني كان على دراية واسعة بالفقه وأصوله ومدارسه وأحيانا يقدم فتاوى وتفاسير متميزة تخص ظواهر مستجدة وأخرى تخص التنبيه إلى تلك البدع التي دخلت المجال الديني بفعل ثقافة العامة.

ويكون قد اطلع على المؤلف الموسوم بالوغليسية، حيث زار شارحها سيدي عبد الرحمن الصباغ، في قوله "الشيخ الولي الصالح ذو التصانيف المفيدة سيدي عبد الرحمن الصباغ شارح الوغليسية "[1]. وهي وثيقة فقهية بارزة تجمع الفقه المالكي والنزعة الصوفية، ويبدو أن الوغليسي يكون قد تأثر بأفكار أبو حامد الغزالي الذي مال في أواخر حياته إلى النهج الصوفي مثلما نقرأ في كتابه "المنقذ من الضلال".

وتشمل المصادر الفقهية التي اعتمد عليها أيضا العديد من الكتب السائدة في تلك الفترة مثل "النبراس في الرد على منكر القياس"، يضاف إلى ذلك ما يذكره عرضا من أسماء الفقهاء المعروفين في تلك الفترة مثل الإمام ابن مرزوق التلمساني،في قوله "بأن اختصر شرح الإمام ابن مرزوق التلمساني عليها بعلوم سبعة "[2]. "وبحر الولاية والعلم سيدي عبد الرحمن الثعالبي ومثله في العلم والولاية سيدي التواتي البجائي الذي كان حكمه وفتواه لا يردان من بجاية وتوزر، والشيخ زروق من ثمقرا ذو الكرامات العديدة "[3].

ثالثا – كتب اللغة:

[1] الوثلاني: المصدر السابق، ص19.

[2] نفسه، ص19.

[3] نفسه، ص19.

وكمثال على اعتماد الشيخ الحسين الورثلاني على كتب اللغة نجده يتكلم عن العديد من المصادر اللغوية، فيقول "أخذنا على بني فراوسن بلد الشيخ ابن معطي صاحب ألفية النحو الذي قال فيه ابن مالك (فائقة ألفية ابن معطي)"[1].

وكذلك ذكر أنه قد تعلم ألفية ابن مالك على يد العلامة الفاضل سيدي علي بن أحمد.[2]

رابعا – كتب الفلسفة وعلم الكلام:

يقول أبو القاسم سعد الله، شاع لدى الجزائريين استعمال تعبير علم الكلام وعلم التوحيدعلى حد سواء، وكانوا يعتبرون هذا العلم من أهم العلوم بل هو أهمها، فقد عرفه مصطفى الرماصي في القرن الثاني عشر بما يلي: "علم الكلام أوثق العلوم دليلا وأوضحها سبيلا وأشرفها فوائد وأنجحها مقاصد إذ به تعرف ذات الحق وصفاته ويصرف عنه ما لايليق به ولاتقبله ذاته"[3].

ونجد الحسين الورثلاني الفيلسوف، رغم أنه لم ينشغل بالفلسفة في حياته ولم يذكر هذا المصطلح في رحلته، ولكن من خلال ما اعترض له من مواقف استدعت إعمال العقل والولوج به في مقاصد الشريعة وذلك من أجل توضيح المبهم من المسائل للعامة لكيلا يلتبس عليهم، ويكونوا على بينة من الأمر، فيقول الورثلاني: "وممن اجتمعت معه في مصر أيضا الفاضل المحصل والعالم المؤمل، الفقيه المفسر، المحدث المخبر، المنطقي الكلامي ... الشيخ المنور التلمساني "[4].

"ثم إن فضلاءها ونجباءها سألوني عن قول بعض الأولياء وقفت بساحل وقفت الأنبياء دونه فزبرت عليه رسالة حسنة بما فتح الله به ارتجالا وكتبت فيه رسالة نحو كراسة صغيرة..."[5].

---

[1] نفسه، ص28.

[2] الورثلاني: المصدر السابق، ص81.

[3] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج2، 95-96.

[4] الورثلاني: المصدر السابق، ص361.

[5] نفسه، 26-27.

ولتوضيح المسألة ضرب لهم مثلا، في قصة سيدنا الخضر مع موسى عليه السلام "...وقد كانت علوم عنده لم تكن لموسى عليه السلام مع أن موسى أفضل منه بالإجماع غايته أن تلك مزية والقاعدة المقررة أن المزية لاتقتضي الأفضلية..."[1].

وقد برز في هذا العلم الشيخ عبد الرحمن الاخضري (ت 1575م)، الذي احتوت قائمته على 166 منطقيا عربيا وإسلاميا من بينهم 14 مفكرا أندلسيا كتبوا في المنطق، ومفكرا واحدا من المغرب الأدنى وهو عبد الرحمن بن خلدون وأربعة مفكرين من المغرب الأوسط (الجزائر) وهم: محمد بن أحمد التلمساني (ت 1379م)، ومحمد بن مرزوق العجيسي (ت 1438م)، وأبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (ت1488م)، وعبد الرحمن الأخضري.

أما علم الكلام، فنجد الشيخ الحسين الورثلاني قد أثار عشر مسائل من علم الكلام، حيث برزت شخصية الورثلاني في ابداء رأيه والميل إلى استخدام العقل والتشجيع على ذلك، مالم يتعارض مع النصوص الشرعية ولعل أبرز مثال في ذلك ما حصل بينه وبين الشيخ العمروسي، قال الورثلاني: "وكان الشيخ العمروسي يحضر درسه ومع ذلك أنه شرح خليلا وكان الشيخ خليل المغربي، قد وقع بينه وبين الشيخ نزاع في بعض المسائل في الكبرى في كلام الشيخ السنوسي فلما طال نزاعهما وقد ظهر لنا ما ظهر للشيخ المذكور فأجبته بما هو حاصله أن الحق أحق أن يتبع وما ذكره هو الحق والله تعالى أعلم..."[2].

خامسا – كتب التاريخ:

كما اعتمد الحسين الورثلاني في كتابة رحلته على بعض المصادر التاريخية التي تتكلم على المناطق التي يمر بها ركب الحجيج الذاهب إلى مكة، كما وقف على بعض الشخصيات التاريخية التي

[1] نفسه، ص27.

[2] الورثلاني: المصدر السابق، ص361.

صنعت الحدث أثناء مرورها في تلك المناطق،وهذا ما نجده في حديثه عن ابن خلدون، يقول الشيخ الورثلاني: "وقد ذكر ابن خلدون في كتابه منتهى العبر أن بعض ملوك المغرب سأل بعض العلماء ممن حج عن مصر فقال أقول لك فيها قولا".[1]

كما اعتمد على كتاب البلدان لليعقوبي[2] في قوله: "قال اليعقوبي: أدنة هذه أعظم مدن الزاب مما يلي المغرب، وهي كثيرة الأنهار والعيون العذبة"[3]

كما نجده يفصل ويدقق فيها كما هو الشأن في وصفه لحملة الصحابي الجليل عقبة بن نافع، وصراعه مع كسيلة أحد أمراء البربر، والذي أدى إلى استشهاده بمنطقة، سيدي عقبة ناحية بسكرة، أما عند حديثه عن تونس فنجده قد ذكر الصحابي أبو لبابة بمنطقة قابس، حيث أشار إلى المؤلفات التي تطرقت وروت قصة هذا الصحابي وهو (اختصار معالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان) لصاحبه ابن ناجي.[4]

وفي بعض الأحيان وفي خضم حديثه عن السلطة متمثلة في الولاة المناطق التي كانت تحت لواء الخلافة العثمانية، يلبس عباءة المؤرخ في التأريخ لبعض الاحداث وابداء رأيه فيها وربما هذا ما جعله يضيف تعبير علم التاريخ والأخبار إلى عنوان رحلته.

اعتمد الحسين الورثلاني على عدد من المصادر التاريخية التي كان يوظفها في العلاقة مع المناطق التي شملتها الرحلة، ويخوض أحيانا في تفاصيل تاريخية كثيرة على النحو الذي نجده في وصفه حملة الصحابي عقبة بن نافع (الذي قتل ودفن بمنطقة سيدي عقبة ناحية بسكرة) والنزاع الذي وقع

---

[1] نفسه، ص296.

[2] **أحمد بن إسحاق اليعقوبي**: مؤرخ جغرافي كثير الأسفار، من أهل بغداد. كان جده من موالي المنصور العباسي. رحل إلى المغرب وأقام مدة في أرمينية. ودخل الهند. وزار الأقطار العربية. وصنف كتبا جيدة منها: تاريخ اليعقوبي، وكتاب البلدان، وأخبار الأمم السالفة، ومشاكلة الناس لزمانهم. واختلف المؤرخون في سنة وفاته، فقال ياقوت: سنة 284هـ ونقل غيره 282هـ وقيل 278هـ أو بعدها. خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج1، ص95.

[3] الورثلاني: المصدر السابق، ص126.

[4] نفسه، ص163.

بينه وكسيلة أحد أمراء البربر آنذاك، ويتكرر ذلك أيضا عند حديثه عن الصحابي أبو لبابة (بمنطقة قابس، بتونس) إذ يشير إلى أحد المؤلفات التي روت قصة هذا الصحابي "اختصار معالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان لصاحبه ابن ناجي.

وأحيانا كان يمارس بعض التأريخ عندما يتحدث عن حال ولاة المناطق التي كانت تحت الخلافة العثمانية ولعل هذا البعد التاريخي هو الذي جعل الكاتب يضيف تعبير علم التاريخ والاخبار إلى عنوان الرحلة.

سادسا – الشخصيات التاريخية:

وتشمل الشخصيات التاريخية الواردة في الرحلة ابن خلدون بوصفه شاهدا على حال انحطاط الأمة فيما بعد أفول الحضارة الاسلامية في الشرق والأندلس، غير أن نص الرحلة لم يتضمن الكثير من التحليل الاجتماعي بل اعتمد أكثر على الشواهد الآنية وإن كان يشير إلى ظاهرة التفكك الاجتماعي بحكم انتشار المظالم والمفاسد والجهل بفقه العبادات والمعاملات وعدم الاحتكام إلى القرآن والسنة النبوية في تنظيم شؤون البلاد والعباد، فقد جاء في الرحلة عن أخبار مصر نقلا عن ابن خلدون: "أن مصر لا بد أن تشتمل على طائفتين إحداهما في غاية العتو والاستكبار والأخرى في غاية الذل والاستحقار"[1].

كما تكلم عن شخصية عقبة بن نافع الفهري في قوله: "ونزلنا سيدي عقبة عصرا، وهو عقبة بن نافع الفهري التابعي القرشي، ولد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك عده بعضهم من الصحابة، ولاه معاوية بن أبي سفيان على إفريقية"[2].

كما تحدث أيضا عن كسيلة ملك البربر، حين قال: "وكان كسيلة ممن أسلم على يد أبي المهاجر وذلك أن أبا مهاجر نهض إلى المغرب فنزل عيونا عند تلمسان تعرف بعيون أبي المهاجر، فزحف إليه كسيلة في جمع من البرنس، فظفر به أبو مهاجر وعرض عليه الإسلام..."[1].

---

[1] الورثلاني: المصدر السابق، ص294.

[2] نفسه، ص124.

كما جاء في رحلته أيضا ذكر للكاهنة، وهي ملك البربر، قال: "فخرجت ناشرة شعرها، وتضرب صدرها وتقول: ذهب ملككم في نبات الأرض وأراه بين لوحين، وكانت الكاهنة قد ملكت إفريقية خمس سنين"[2].

المبحث الثالث: نماذج من بعض أعلام الفكر والثقافةفي رحلة الشيخ الحسين الورثلاني

أولا– أحمد الطيب بن محمد الصالح بن سليمان العيساوي الزواوي:نحوي، أديب، من كبار علماء المالكية، له نظم. من آثاره "الدرة المكنونة" أرجوزة في عقائد التوحيد، و"تكملة الفوائد في تحرير العقائد " شرح على أم البراهين و"مفتاح الأحكام" منظومة في أحكام الفتوى، تقرب أبياتهما من الألفين، و "تذكرة الحكام" شرح مفتاح الأحكام، و"نصرة الإخوان في إحجاج الفقهاء بالبرهان" أرجوزة، و "منهج الوصول" أرجوزة في علم الفرائض، و"مفيد الطلبة" شرح الآجرومية في النحو و"القرة العصرية" في أحكام الفتوى.[3]

ثانيا– العالم يحي بن معطي النحوي: ولد الحسين زين الدين يحي بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي في قرية افراوسن بجبال جرجرة عام 564 هـ . 1169 م، ودرس في صغره على علماء المنطقة، وتفقه على المذهب المالكي، ثم رحل إلى المشرق واعتنق المذهب الشافعي ثم المذهب الحنفي، ثم استقر في دمشق الشام، ودرس على ابن عساكر، وغيره، حتى نبغ في علوم اللغة والأدب، وتصدى للتدريس في الجامع الأموي ثم استدعاه الملك العادل إلى مصر، فانتقل إلى القاهرة، وتصدى لتدريس علوم اللغة في الجامع الأزهر حتى توفي عام 628هـ/1231م، خلف لنا من ورائه عددا من التآليف في الأدب والنحو والعروض، وعلم القراءات.

---

[1]نفسه، ص127.

[2]الورثلاني: المصدر السابق، ص133.

[3]الورثلاني: المصدر السابق، ص13. عادل نويهض: المرجع السابق، ص161.

الدرة الألفية في علم العربية، وموضوعها النحو والصرف، وقد طبعت ألفية ابن المعطي في مصر، وفي ليبزق بألمانيا وشرحها كثيرون منهم الشربيني: كتاب الفصول، كتاب العقود والقوانين في النحو، حواشي على وصول ابن السراج في النحو.[1]

ثالثا – الشيخ أحمد بن إدريس اليلولي البجائي: من علماء القرن الثامن الهجري، "14 م"، توفي بعد عام 760هـ/1359م، تضلع في العلوم والمعارف الإسلامية خاصة الفقه، تصدى للتدريس والإفتاء في بجاية، ودرس عليه عبد الرحمان بن خلدون وأبوه يحي، وعبد الرحمان الوغليسي، ألف عدة رسائل في أغراض شتى، ونقل عنه ابن زاغو التلمساني، ومحمد الشاذلي، ويحي الرهوني، وابن عرفة التونسي، وابن سلامة البسكري، ودرس عليه ابن وهران ووليها محمد بن عمر الهواري كذلك، وله زاوية صوفية مشهورة ماتزال إلى اليوم في مسقط رأسه بعرش ايلولن في دائرة العزازقة لأنه كان صاحب زاوية ومدرسة صوفية مشهورة بالمنطقة كلها التي تستقطبها في عصره مدينة بجاية، يعتبر أحمد بن إدريسأحد رواد التصوف في الجزائر والمغرب الاسلامي بصفة عامة.[2]

رابعا– الشيخ أبو زيد عبد الرحمان الوغليسي: من علماء القرن الثامن الهجري "14م"، ولد وتربى في بني وغليس على بعد حوالي ميل من قرية سيدي عيش جنوب بجاية على الضفة اليسرى لواد الصومام، تضلع في العلوم والمعارف العربية الاسلامية حتى أصبح إماما فيها خاصة مادة الفقه، وتولى وظيفة الإفتاء والإمامة بالجامع الكبير في بجاية، لقب بشيخ الجماعة وتتلمذ عليد الشيخ ابن ادريس، درس عليه الخلدونية، ودرس عليه الخلدونيان، وأبو القاسم المشدالي ومحمد بن عمر الهواري الوهراني وعبد الرحمان الثعالبي.

[1] الورثلاني: المصدر السابق، ص28. يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص288.

[2] الورثلاني: المصدر السابق، ح2، ص695. عادل نويهض: المرجع السابق، ص32.

ومن تآليفه المشهورة "منظومة الوغليسية في الفقه التي شرحها كل من أحمد زروق البرنوسي، ومحمد السنوسي التلمساني، ويحي العيدلي، وعبد الرحمان الصباغ، وقد توفي الوغليسي عام 786 هـ . 1384م، ومن تلاميذه كذلك علي بن عثمان المنقلاثي.[1]

خامسا– الشيخ أبو علي منصور بن احمد بن عبد الحق المشدالي: فقيه ومحدث، وأصولي، ومفسر، أشاد به معاصره أحمد الغبريني، وأشاد بشروحه وتأليفه في الفقه، والحديث، والمنطق، واللغة، رحل إلى المشرق وبقي بها نيفا وعشرين عاما، ولقي الكثير من علماء الاسلام واستفاد منهم، وأفادهم، وعندما عاد تصدق للتدريس حتى توفي عام 731هـ/1330م.[2]

سادسا– علي الأجهوري: هو علي بن زين العابدين بن محمد بن أبي محمد عبد الرحمن الأجهوري، نور الدين أبو الارشاد عرف بالأجهوري نسبة لقرية أجهور بريف مصر لقب بشيخ المالكية في عصره بمصر، ولد وتوفي في (967 هـ . 1557 م / 1066 هـ . 1656 م)، أخذ عن شيوخ كثر منهم:محمد الرملي، وحسن الكرخي، وأخذ عنه البابلي، والنور الشبراملسي، والشهاب العجمي، له مؤلفات عدة منها: شروحه الثلاثة على مختصر خليل وشرح على ألفية بن مالك.[3]

سابعا– أبو راس الناصري:ولد محمد بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر المعسكري، المعروف بأبي راس الناصري، (1150 هـ . 1757 م) قرب جبل كرسوط بالغرب الجزائري، عاش فقيرا، يتيما، إذ توفيت أمه ثم أبوه، فكفله بعدهما أخوه الأكبر الذي سافر به إلى (معسكر) وهناك حفظ أبو راس القرآن الكريم، نعلم الأحكام ثم الفقه، اشتغل بعده بالتدريس لطلبة مازونة كتاب مختصر خليل المغربي، ثم تولى القضاء في قرية غريس قرب معسكر، ثم رجع إليها ليزاول التعليم لمدة 36 سنة متتالية.

---

[1] الورثلاني: المصدر السابق، ص42. عادل نويهض: المرجع السابق، ص317.

[2]الورثلاني: المصدر السابق، ص246. أبو العباس الغبريني: المصدر السابق، ص200-201. يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص ص292-294.

[3]الورثلاني: المصدر السابق، ص141. ابن زاكور الفاسي: **ثلاث رحلات مغاربية**، تح: مصطفى ضيف، محفوظ بوكراع، المعرفة الدولية، طبعة خاصة، الجزائر، 2011، ص66. عبد الرحمن بن محمد المجاجي: المصدر السابق، ص186.

عرف أبو راس الرحلة منذ صغره، وتنقل بين عدة مدن في الغرب الجزائري، وأنجز مدة حياته، رحلتين إلى الحجاز، لأداء الحج .[1]

ثامنا– عبد الرحمن بن خلدون: ولد عبد الرحمن بن خلدون بن محمد في مدينة تونس يوم أول رمضان عام 732 هـ (1331 م) تتلمذ على يد الشيخ أبي عبد الله محمد بن نزال الأنصاري، الذي علمه القرآن حفظا ورواية على القراءات السبع، إفرادا وجمعا، درس على يد والده علوم اللغة العربية وصناعة الشعر، كما درس النحو والحديث والفقه على يد علماء أجلاء تولى وظيفة العلامة بتونس، كما تولى الكتابة لأبي عنان في فاس أين استغل إقامته هناك لينكب على الدراسة، فوطد علاقته بالعلماء والمشائخ ليستفيد من علمهم وبعد أخد وردعاد إلى بجاية أين تولى الحجابة فيها .

استقر المقام بابن خلدون بتونس، ليتصدى للإقراء والتعليم، وينكب على تأليف كتابه، بتشجيع من السلطان حيث أكمل منه أخبار البربر وزناتة.[2]

تاسعا– سيدي عبد الرحمن الصباغ: من شيوخ ومتصوفة بلاد المغرب، له شرح على الوغليسية، وله شرح كذلك على البردة بأن اختصر شرح الشيخ زروق التلمساني عليها ورثاه عند موته بقصيدة عظيمة وشهد له أيضا بالعلم الظاهر والباطن وكان له كرامات عظيمة.[3]

---

[1] الورثلاني: المصدر السابق، ص117. محمد أبو راس الجزائري: **فضل الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ومنته**، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1990، ص184.

[2] الورثلاني: المصدر السابق، ص294. يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص ص 85-111.

[3] الورثلاني: المصدر السابق، ص19.

الفصل الثاني: الأوضاع الاجتماعية للجزائر في رحلة الشيخ الحسين الورثلاني

المبحث الأول: المجتمع الجزائري من خلال رحلة الشيخ الحسين الورثلاني

المبحث الثاني: عادات الجزائريين من خلال رحلة الشيخ الحسين الورثلاني

المبحث الثالث: الصراع بين بعض القبائل والسلطة الحاكمة

المبحث الرابع: مظاهر المقارنة بين البلدان في رحلة الشيخ الحسين الورتلاني

إن البنيات الاجتماعية في الجزائر لا تختلف اختلافا كبيرا من منطقة لأخرى بل إنها تكاد تكون واحدة بالنسبة لجميع السكان سواء في الشرق أو في الغرب، في الشمال أو في الجنوب، فإن القانون أو الأسرة هو الخلية الحية التي تساهم في تكوين الجماعات وتوسيعها.

أما الوحدة الاجتماعية التي تأتي بعد الأسرة مباشرة فهي الدشرة (العرش في بعض الجهات) التي تشتمل على عدد من القوانين يتراوح ما بين العشرة والثلاثين، والتي تخضع في شؤونها الخارجية لأكثر أبنائها مالا وجاها وحكمة وكثيرا ما لا تتوفر هذه الصفات إلا في كبيرهم سنا، وكانت الأعراش تجتمع فيما بينها فتكون القبيلة[1] التي تعتبر وحدة سياسية واقتصادية واجتماعية، تسير تسييرا جماعيا، لأن الأعيان هم الذين يختارون القائد ويقررون معه في جميع المسائل الخطيرة.[2]

المبحث الأول: المجتمع الجزائري من خلال رحلة الشيخ الحسين الورثلاني

أولا– الخصائص للعامة للمجتمع الجزائري:

يتأكد على كل من يود الاطلاع أو يريد الإحاطة بالحياة الاجتماعية لأي شعب كان أن يتحقق أولا ويدرس دراسة وافية لعادات ذلك الشعب الذي يريد الاطلاع على حياته الاجتماعية وأن يحيط علما بتقاليده وأخلاقه وعاداته وما شذ منها وما شاع غير متحاش من ذلك شيئا مع التمكن من معرفة ما أمكن من مشخصات ذلك الشعب ومقوماته في جميع أطوار حياته ما حضر منها وما غبر، متتبعا ومستقصيا لانتظام علاقاته بغيره من الشعوب ممن اتصل بهم أو اتصلوا به من قريب أو بعيد.

ونحن إذا نظرنا إلى أهل الجزائر بهذا الاعتبار نجدهم على قدر كبير من التنوع بين فئات المجتمع السكانية، حيث أنها كانت تتميز بالانسجام والترابط.[3]

---

[1] **القبيلة:** هي ما انقسم فيه الناس وتجمع على قبائل لتقابل الأنساب فيها، كربيعة ومضر. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص 214.

[2] محمد العربي الزبيري: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1972، ص45-46.

[3] ويليام سبنسر: **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1980، ص81.

وهناك من قال عن سكان المدن أنهم عبارة عن مزيج من البربر والعرب وباقي الأجناس التي دخلت البلاد عبر فترات زمنية متباعدة، كما كان بعضهم من المهاجرين الأندلسيين والأتراك.[1]

أما عن أخلاقهم فيقول عنها يحي بن خلدون: "إنهم كانوا ذوي أخلاق سرية، وطباع كريمة، من صفاتهم الحياء والوقار والوفاء بالعهد والعفاف والتدين والاقتصاد في المعاش واللباس والسكنى..."[2]

فإن قلت أن هذه الصفات جاءت في وصف أخلاق بني عبد الواد خاصة، قلنا نعم وأجل، هم سادة الوطن ورؤساؤه والناس كما قيل على دين ملوكهم وقادتهم وإنما صلاح الرعية بصلاح قادتها ورؤسائها والعكس بالعكس.

ثم إن طبقات الأمة الجزائرية يومئذ منحصرة في أربعة أصناف من الناس، فإنك لا تجد الجزائري إلا تاجرا أو محترفا أو هو طالب للعلم معلما أو متعلما، أو جنديا مع الجيش يدافع عن بيضة الإسلام وشرف وطنه، لا خامس هنالك، وقد ازدهرت الجزائر يومئذ بالوافدين عليها من مهاجري الأندلس ومعظمهم من مهرة الصناع والزراعيين وأهل العلم واليسار الذين درجوا في مهد الحضارة بالفردوس المفقود، فأخذوا هنا بمهجرهم يمارسون مهنهم الراقية في وطنهم الجديد، وكان يبلغ عدد سكان المدينة الواحدة من المدن الجزائرية الشهيرة كتلمسان مثلا المائة والخمسين ألف نسمة وكان بوهران يومئذ نحو الستين ألف نسمة.[3]

ثانيا– المظاهر السلبية في المجتمع الجزائري من خلال رحلة الورثلاني:

قد تطرق الشيخ الحسين الورثلاني إلى بعض الجوانب الاجتماعية في رحلته التي قادته إلى البقاع المقدسة من خلال كتابته لما عاينه سواء بالملاحظة الذاتية أو ما سمعه من أصحابه أهل الثقة

---

[1] ويليام شيلر: **مذكرات القنصل الأمريكي في الجزائر 1816–1824**، تع: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1982، ص54.

[2] يحي بن خلدون: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تح: عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة، طبعة خاصة، الجزئر، 2011، ص22.

[3] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1982، ج1، ص231.

كما سماهم هو. ولعل البارز فيها هو إصلاح ذات البين بين تلك العشائر والقبائل من بني جلدته فيذكر:

1- جهود الورثلاني في إصلاح ذات البين:

يقول الورثلاني: "وسببه أن الفاضل العالم الكامل الصالح أخانا في المحب من أجله سيدي أحمد الطيب الزواوي نجل الولي الصالح سيدي محمد السعدي من بني العزيز من بني منجلات قدم إلينا زائرا وواقفا علينا وطالع أحوالنا لعل الله يفرج ما بنا من الفتنة مع بعض المخذولين الخارجين عن طاعة الله ورسوله في الأحكام الشرعية بعد إعطاء البيعة والإذعان في جميع الأحكام الشرعية ونبد الردية والبدع الشنيعة كقطع الميراث وأكل أموال الناس بالباطل وأموال اليتامى ولين الجانب كالأرامل فلما وصل إلينا فرج الله عنا ذلك بعد أن وقع النصر من الله العزيز لقوله تعالى: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ **[الحج: الآية40]** ولقوله تعالى: ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ **[محمد: الآية7]** فيوقع الصلح بين الفريقين وأظهروا التوبة والذل والمسكنة والندم بعد أن كانوا ممتنعين منها ظاهرا وباطنا الفضل لله تعالى والشكر له جل جلاله ".[1]

وفي موضع أخر يقول الشيخ الورثلاني: "فانفصلنا من مقامنا بنية الزيارة وقضاء الحوائج لبعض المسلمين من إصلاح ذات البين إذ القتال في وطننا كثير والفتنة بينهم قل إن ترتفع والهرج بينهم قوي أزال الله ذلك بمنه وكرمه"[2].

وفي موضع أخر يقول "... فلم يفد فيهم الأهمة الصالحين وأهل الخير فيجب على من يقبل منه أن يذهب إليهم ويصلح حالهم ليرتفع مافيهم من المعصية وهي قوله صلى الله عليه وسلم: (القاتل والمقتول في النار) الحديث وقد نص علماء بجاية على أنه يجب على أهل الخير والصلاح ممن يقبل منه

[1] الورثلاني: المصدر السابق، ص14.
[2] نفسه، ص18.

الصلح بين هؤلاء المسلمين إلا عصى الله تعالى وقد نص أيضا على أنه لا يجوز مشاهدتها وهو شريك بالنظر أنظره في الأسئلة تره بالعيان"[1].

كما دعا الشيخ الورثلاني على كل ظالم بالهلاك وهذا عندما نزل قرب بريكة[2] وهي كما يقول: "أرض طيبة وفيها نهر جار مثل النيل وهي لسيدي محمد الحاج يتقاتل عليها أولاد دراج بينهم أزال الله ظلمهم وأهلك من أراد منهم من غير رضى أولاد الشيخ"[3].

ثم وصل الشيخ إلى مدوكال قرية ويقول في شأنها: "مدوكال فيها نخل...قد طغوا عليها أولاد دراج... وأهلها فيهم الصلاح كما رأيت بعض المرابطين كإمام مسجد الشيخ وبعض أولاده وبعض الطلبة وما أكثرهم فقد فسقوا فيها بالسرقة والتعدي والمشي بالنميمة بين أكابرهم حتى نزل بهم ما نزل وقد صار البغض العظيم بينهم... "[4].

كما وعظهم الشيخ في قوله "وهذا وإني وعظتهم وأمرتهم بما يكون فيه خيرهم نعم هم أفضل من غيرهم فإنهم كالماء يجوز اللقمة إذا غصت..."[5].

وفي موضع آخر وبالضبط في عين الغزالة يقول الشيخ الورثلاني "وفي ذلك اليوم أيضا حصل بعض التشاجر لأهل الركب ووقعت معركة عظيمة بين أهل عامر[6] وأهل قصر الطير بالحجر والعصي غير أن الله رزق لنا اللطف من حالهم حيث لم يموتوا...ثم اجتمع أهل الفضل وأصلحنا بينهم..."[7].

---

[1] نفسه، ص18.

[2] **باركة:** وهي قرية تقع في الطرق الرابط بين أولاد دراج وبسكرة. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص 219.

[3] الورثلاني: المصدر السابق، ص114.

[4] نفسه، ص114.

[5] نفسه، ص115.

[6] **بني عامر:** قبيلة عربية تعد من البطون الكبيرة لقبيلة زغبة، من بطونها بنو يعقوب، بنو حميد، بنو شافع ولكل واحد منهم فخائذ وعمائر، كان أصلهم من جبل غزوان بالطائف، ثم انتقلوا للمغرب، وعلى عهد يمغراسن انتقلوا الى مدينة تلمسان. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص 30.

[7] الورثلاني: المصدر السابق، ص280.

وما يؤكد كلام الورثلاني ما ذهب إليه أحد الباحثين إلى أن النزاعات التي كانت تقع بين الأشخاص في المجتمع الريفي مهما كانت طبيعتها فإنها تحل على مستوى الجماعة، وإذا استعصى الأمر ترفع القضية إلى مجلس القضاء الذي كان يعقد جلساته في الأسواق الأسبوعية المنظمة في عرش من الأعراش، ومن تلك القضايا نذكر النزاع الذي حدث بين الزوجين حول أحقية ملكية بقرة، فأصدر القاضي حكمه في مجلسه المنعقد في سوق الأربعاء "ناث إيراثن" بمنطقة القبائل في عام 1189هـ/1785م.[1]

2- ظاهرة البخل:

تطرق الشيخ الحسين الورثلاني إلى ظاهرة البخل في رحلته عند دخوله إلى (قصر الطير)[2] في قوله: "إلا أن قائده وشيخه الأول ابن يلس والشيخ أحمد بن الصخري...ولم يرد الله بهما خيرا فلم يتكرم أحد منهما بطعامه ولا بشعيره على الحجاج فإنهم وفد الله ووفد رسوله صلى الله عليه وسلم "[3]. وتعليقا على هذا الموقف المخزي من هذين الشيخين ذكر قوله تعالى في حق من يبخل بما جاد الله عليه: ﴿ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ **[محمد: الآية38]**.

3- النساء في رحلة الورثلاني:

تحتل المرأة في الإيالة مرتبة ثانوية في كثير من الأحيان، فهي لا تستطيع الحصول على قوتها إلا بمساعدة الرجل، مهمتها الأساسية في البيت إنجاب الأطفال وحلب الألبان والاشتغال بصناعة الطرز على الحرير والجلد، وفي البادية جلب الحطب وتتبع الحصادين لجمع السنابل، ونسج الأصواف، ولكنها لا تستطيع الذهاب إلى المدارس على الرغم من انتشارها في كامل أنحاء البلاد، لأن عامة

---

[1] أرزقي شويتام: **المجتمع الجزئري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عمار بن خروف، جامعة الجزائر، الجزائر، 2006، ص42.

[2] **قصر الطير**: منطقة واقعة في الجنوب الغربي لمدينة سطيف على بعد حوالي 60 كلم تحمل اليوم اسم كولبير(colbert). عبد الرحمن المجاجي، المصدر السابق، ص 69.

[3] الورثلاني: المصدر السابق، ص110-111.

الأهالي يرون من العيب أن تتعلم البنت القراءة والكتابة حتى لا يكون لها اتصال بالخارج، وقد شذت عن هذا الوضع بعض بنات الأغنياء الذين كانوا يحضرون المعلم إلى بيوتهم أو بنات المعلمين أنفسهم.[1]

أما عن حديث الشيخ الحسين الورثلاني في رحلته فنجده يذكر بعض المشاهد التي عايشها.

قال الشيخ: "من بني يعلى وزمورة... وزاد لما ذكر فنساؤهم باديات مكشوفات، هداهم الله لحجبهن لأنه من أعظم الأفات..."[2].

ومما يؤيد هذا ما ذكره الألماني هاينرش فون مالتسان عندما تحدث عن نساء معسكر قائلا: " كنا نرى فب جميع الجهات نساء عربيات سافرات أغلبهن للأسف مترهلات قبل الأوان يقطعن السنابل الذهبية بالمناجل"[3]

ويذكر الورثلاني عن حالات الولادة بين نساء الركب فيقول "مررنا على قرية معلومة فقد قيل أنها آخر عمارة برقة... وفي ذلك اليوم ولدت بعض النساء طفلا وتأخرنا في جماعة انتظارا لها على أن الله تفضل بتيسير طلقها وهي زوج سيدي عبد الرحمن الذويبي..."[4].

4 – الاستيلاء على الأوقاف:

يقول الورثلاني عن بسكرة[5] حين دخلها "غير أن الأتراك استولوا عليها استيلاء عظيما وما كان من المدارس والأحباس التي لم توجد في الأمصار هي في أيديهم يأكلون منها وينتفعون بها أتم

---

[1] حمدان بن عثمان خوجة:المصدر السابق، ص36.

[2] الورثلاني: المصدر السابق، ص109.

[3] هاينريش فون مالتسان: **ثلاث سنوات في شمال إفريقيا**، تع: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ج2، ص 66.

[4] الورثلاني: المصدر السابق، ص276-277.

[5] **بسكرة**: وعند الرومان "vesoera": عاصمة الزيبان وهي من أقدم مدن الجزائر إذ سكنها البربر قبل قدوم الرومان وتداول على أمرها . بعد الفتح الإسلامي . بنو رمان 1058 م، ثم بنو سندي إلى 1152 م، ثم بنو مزني من أواخر الثالث عشر إلى قدوم الأتراك، الذين وصلوا إليها أيام حسن آغا والذي احتل الحضنة ودخل بسكرة سنة 949 هـ / 1542 م، وفي أيام صالح رايس خضعت المدينة لنظام الجزائر 1552 م وبنى بها الترك برجا عند منبع المياه، وشن عليها صالح باي عدة غارات وبقيت المدينة على هذا الحال إلى أن احتلها الفرنسيون في 4 مارس 1844. انظر: مولاي بلحميسي: المرجع السابق، ص100.

انتفاع كالأملاك الحقيقية المباحة بل هي ليست لهم ولا أنهم من أهلها بل تمردوا وطغوا جعلوا كل الخطط الشرعية لهم ظلما وعدوانا وهذا والعياد بالله سبب اندراس العلم وأهله من كل وطن يوجد فيه ذلك..."[1]،ومن ذلك أيضا شكوى الورثلاني وهو يتحدث عن قسنطينة.[2]

5 –الرشوة:

يقول الورثلاني وهو ببسكرة: "وقد سمعت أن القاضي فيها لا يتولى إلا بإعطاء لهم وارتشاء لديهم وذلك في غيرها من عمالة الجزائر..."[3].

كما أوضح الورثلاني حكم الإمام الذي يتولى المنصب بالرشوة بقوله: "أن المتولي للأحكام الشرعية بإعطاء منه فأحكامه مردودة وإن وافقت الحق وصلاته للجمعة باطلة وإن كان إماما فإن بطلت عليه بطلت على جميع من اقتدى به فينبغي للإنسان أن ينظر من كان سالما من هذه الجرأة الكبيرة والفرية العظيمة فيقتدى به..."[4].

6– سوء أدب الركب الجزائري:

يقول الورثلاني فيما وقع بين الركب الجزائري وركب فزان: "فلما أصبح الله بخير الصباح وقع بيننا وبين ركب فزان شنآن لأن أهل وطننا فيهم الجفاء والغلظة وسوء الأدب وعدم اذعانهم للحكم وسلطان فزان رجل عدل قائم بالأحكام..."[5]

ويقول كذلك: "وأما الركب الجزائري فلا حكم عندهم أصلا ولا يقفون عند الأمر والنهي لاسيما أهل عامر فما فارقهم أحد في هواهم إلا أبغضوه وجعلوه عدوا وقد أصابني منهم عداوة عظيمة من أجل أني آمرهم بالسنة والقيام بالأحكام الشرعية لاسيما السير بسير الشيخ والنزول بنزوله

---

[1] الورثلاني: المصدر السابق، ص142.
[2] نفسه، ص791.
[3] نفسه، ص142.
[4] نفسه، ص791.
[5] نفسه، ص622.

وستر نسائهم لأنهن يذهبن مكشوفات العورات فيبدين زينتهن لكل الناس بل يتزين لأجل ذلك ليرعن فتن بهن..."[1]

7- الوباء في رحلة الورثلاني:

عرفت الجزائر أواخر العهد العثماني العديد من الأمراض والأوبئة، إذ يذكر بعض الرحالة الأوروبيين ممن زاروا الجزائر، أن الجزائر كانت خالية من الأمراض المعدية والأوبئة وإنما وصلت إليها عن طريق الحجاج والطلبة الآتين من المشرق أو التجار الأوروبيين والسودانيين وغيرهم التي كانت تتعامل معهم إيالة الجزائر.[2]

وقد أرجع حمدان بن عثمان خوجة سبب تعرض المرأة الريفية للأمراض المختلفة، إلى قيامها بالأعمال الشاقة وعدم اعتنائها بالنظافة، وفي هذا الشأن يقول "... نرى هؤلاء النساء اللاتي لا يتوقفن عن الأشغال الشاقة قذرات لا يعتنين بهندامهن وعلاجهن عبارة عن نباتات معروفة بنجاعتها لأن السكان هنا لا يعرفون مبادئ التطبيب وبالنسبة إليهم فالطبيعة وحدها هي من تصنع المعجزات ومن العادة أنهم في هذه الحالات يلجؤون إلى الحمية".[3]

أما إذا رجعنا إلى نص الرحلة فنجد أن الشيخ الحسين الورثلاني قد تطرق هذه الأمراض والأوبئة،

وهذا في قوله "ثم نزل عليهم الوباء فلم يبقي فيها إلا حثالة من الناس..."[4].

---

[1] نفسه، ص622.

[2] محمد الزين: نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية أواخر عهد الدايات، **مجلة البحوث والدراسات**، ع17، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2012، ص192.

[3] حمدان بن عثمان خوجة: **المرآة**، تحوتع: محمد العربي الزبيري، منشورات أناب، دط، الجزائر، 2005، ص36. أرزقي شويتام: **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره**، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 2010، ص84-85.

[4] الورثلاني: المصدر السابق، ص115.

ويقول الشيخ الورثلاني عن الوباء في بسكرة و الذي توفي به سيدي الطيب الناصري: "ولما رجعت من الحجاز في سنة الستين وجدته قد توفي بالوباء الواقع في تلك السنة وكان وباء مفرطا مات به ببسكرة على ما قيل لنا نحو سبعين ألف نفس..."[1].

من بين العوامل التي ساهمت في سوء الحالة الصحية وانتقال العدوى وانتشار الأمراض في أوساط المجتمع الجزائري هو صلة الجزائر بعالم البحر المتوسط وانفتاحها على أقاليم السودان وعلاقاتها بالدول الأوروبية وارتباطها بالمشرق العربي، فمن هذه البلدان انتقلت مختلف الأمراض، كالكوليرا، والتيفوس والجدري والطاعون والدمل والسل، وما ساعد في انتقال هذه الأمراض الفتاكة من موطنها الأصلي إلى الجزائر، توافد التجار برا عبر الطرق التجارية، أو بحرا عبر الموانئ، كما أن ركب الحج لا يخلو من تلك الأمراض خصوصا وأن نقطة الالتقاء والانطلاق من الجزائر نحو البقاع المقدسة.

كما ساعد على توطن هذه الأمراض الموسمية والأوبئة المعدية انتشار المستنقعات بالسهول الساحلية، وحول المدن الكبرى، مثل الجزائر ووهران وعنابة[2]، كما أن الجهل وعدم التزام السكان بالقواعد الصحية التي كانت تتميز بها الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب العربي، والتي لم يعد يعرف السكان منها سوى معلومات بسيطة وتجارب شخصية، وحتى الطبقة المثقفة، إن صح التعبير، لم يكن لها باع في تلك العلوم المادية، أما الأدهى والأمر أن الصيدلية الوحيدة في مدينة الجزائر، حسب ما أورده الرحالة الألماني مارسيول، كانت لا تتوفر إلا على بعض العقاقير والحشائش، وأن الباش جراح القائم عليها كان يجهل مواصفاتها وفوائدها الطبية.

---

[1] نفسه، ص118.

[2] **عنابة**: وهذا نسبة لمدينة عنابة، وهي مدينة عتيقة عامرة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط، كانت تسمى قديما أوربونة إلا انها كانت خاضعة للقوط الوندال، ثم أصبحت بعد ذلك مركزا قرطاجيا، ثم مرسى روماني تدعى هيبون ومر أسقفية أوغسطين، وبعد ذلك صارت مدينة العناب بعدما فتحها المسلمين، حيث بنيت مدينة جديدة تبعد بنحو ميلين عن القديمة، فهي بذلك مدينة برية بحرية، كثيرة اللحم واللبن والحوت والعسل حولها قبائل كثيرة من المصامدة. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص203.

وهذا كله راجع الى عدم اهتمام الحكام العثمانيون بالجانب الصحي وأخذ الأمور بالجدية اللازمة، فنجدهم عند وقوع الكارثة وانتشار الوباء يلجئون إلى نظام الكرانتينة، كما يسوغ بعض علماء السلطة هذا الوباء على أنه غضب رباني، وليس للحكام إلا التسليم وانتظار الفرج من الله، فرغم معاناة الجزائريين من تلك الأمراض والأوبئة على مدار القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، إلا أن الحكام الدين تعاقبوا على الحكم لم يفرضوا الحجز الصحي على السفن أو الأشخاص، باستثناء محاولة صالح باي الذي كان على رأس بايلك الشرق (قسنطينة) عام 1787 م، فرض حزام صحي حول مدينة عنابة ومناطقها المجاورة لها ليمنع من انتقال العدوى إلى مدينة قسنطينة.[1]

المبحث الثاني: عادات الجزائريين من خلال رحلة الشيخ الحسين الورثلاني

أولا– الإيمان بكرامات الأولياء الصالحين:

لقد خص الشيخ الحسين الورثلاني في رحلته بعض الرجال من ذوي الصلاح بذكر بعض الكرامات التي خصهم بها الله عز وجل عن باقي المسلمين، وهذا في قوله "... سيدي أحمد بن باباس ونجليه سيدي المحفوظ وسيدي الطيب وسيدي المحفوظ كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم ويرى الله تعالى أيضا في مراءيه وكان أخا لنا نفعنا الله ببركاته..."[2].

ومن تلك الكرامات التي أشار إليها الورثلاني هي ما حدث بين الشيخ زروق والشيخ سيدي يحي فقال "سمعت ممن يوثق به أيضا أنهما اختلفا في لفظ الجبروت هل هو بهمز أو بغير همز وقال الشيخ سيدي يحي إنما هو بالهمز فلما أصاب الشيخ الريب قال له الشيخ سيدي يحي أنظر في اللوح المحفوظ بأن مسح وجه الشيخ زروق فأزال الله الحجاب عنه فرآه كذلك ومن كرامات سيدي أنه لما

[1] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي: المرجع السابق، ص88.
[2] الورثلاني: المصدر السابق، ص15.

بنى مسجده المعلوم اختلفوا في القبلة فلما اختلفوا فيها قال الشيخ سيدي يحي لجبل فوق قريته انخفض فانخفض فتبينت لهم الكعبة ورآها كل من كان هناك..."[1].

ومن كرامات الأولياء والتي أشار إليها الشيخ الورثلاني ما حدث لسيدي الهادي فيقول " وكذلك زرنا سيدي الهادي... بأن تعدى عليه طلبة الشيخ أحمد بن إدريس...فنجاه الله تعالى وسلم..."[2].

وأما هذا الموقف من التعدي والظلم على قيمة علمية ومكانة رفيعة كان العقاب الإلهي بأن شتت شملهم وفرق جموعهم ومن بقي منهم فقد رق حالهم وضعف أمرهم على حد قول الورثلاني، كما أشار كذلك إلى أن العقاب لم يكن كبيرا لأن بركة الشيخ أحمد بن إدريس حالت دون ذلك.[3]

كما يشير الشيخ الورثلاني إلى ضرورة كتم سر الأولياء لأن ذلك السر إنما هو بين الولي الصالح وربه في قوله "ومن كراماته رضي الله عنه أن الشيخ سيدي التواتي.... فلما فضحوا سر الشيخ...من كتم سر الأولياء وكذا سر الله انتفع به ودام له ذلك"[4].

كما تطرق الشيخ الورثلاني إلى الآداب التي ينبغي على كل إنسان أن يتحلى بها إتجاه الأولياء الصالحين حين ذكر لنا زيارته لسيدي محمد بن علي وما له من كرامات فقال "وسمعنا ممن زاره بعد ذلك أنه قال لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له أن النار لا تمس كل من رآك وزعموا أنه قال ومن رأى من رآك... فإن صح ما قال فهو في الغالب لا يكذب... إلا أن كلام أولياء الله لا ينبغي أن يرمى به جزافا فليحرص المرء جهده على لقائهم والتبرك بهم فعسى أن يصادف نفحة من نفحات الحق فيسعد بها دنيا وأخرى"[5].

---

[1] نفسه، ص20.

[2] الورثلاني: المصدر السابق، ص24.

[3] نفسه، ص24.

[4] نفسه، ص20-21.

[5] نفسه،ص119.

أما في مجال الرقية فنجد أن الشيخ تحدث عنها في رحلته فيقول "قال الشيخ يحي العيدلي علي بن موسى فيه خاصية الرقية لم تكن في أحد من أهل عصره قال وقد رقي لي عكازا أي عصا وكنت أرقي به للناس فيظهر أثارها وقيل أنه ذهب لبني يمل في واد بجاية وأتو له بولد كبير بلغ حد المشي وتجاوزه ولم يقدر على المشي بأن صار مقعدا لا يقوم أصلا فمسح عليه ورقاه فمشى من حينه..."[1].

ثانيا– زيارة قبور بعض أهل الصلاح:

وهذا في حديث الشيخ الحسين الورثلاني عندما يقول: "وقد دخلنا طولقة فاجتمعنا بها مع أهل الفضل والعلم وزرنا أرض الشيخ المذكور والولي المشهور سيدي عبد الرحمن الأخضري في قريته المشهورة فلما وصلته وجدته كأنه حي..."[2].

كما زار الشيخ قبر النبي سيدي خالد وفي موضع آخر قام الشيخ بزيارة لسيدي يحي العيدلي، فيقول: " ومررنا على قبر الشيخ الولي الصالح والقطب[3] الواضح رحمة وطننا وغيث بلدنا سيدي يحي العيدلي..."[4].

ولما وصل الشيخ إلى بني عباس زار الولي الصالح سيدي بهلول كما زار الذاكر لله الفاضل الصالح الفقيه سيدي أحمد بن عبد العظيم وسيدي أحمد، وكذلك زار سيدي الهادي وأولاده.

كما زار قبر الشيخ أحمد بن إدريس،[5] وعند وصول الشيخ لزواوة كانت له زيارة للولي سيدي علي بن موسى وفي قرية تدلس كانت له زيارة لسيدي أحمد بن عمر وهذا بقوله "ثم ذهبنا بعد الزيارة...إلى قرية تدلس...جعل البركة فيهم..."[6].

---

[1] نفسه، ص27.

[2] الورثلاني: المصدر السابق، ص16.

[3] **القطب**:يعرف عند الصوفية بأنه رجل على درجة كبيرة من الصلاح، كما يسمى الغوث وقطب الأقطاب والقطب الأكبر وقطب الإرشاد. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص 218.

[4] الورثلاني: المصدر السابق، ص19.

[5] نفسه، ص24.

[6] نفسه، ص26.

وقد أشار الشيخ الورثلاني إلى المناطق التي مر بها كابني بوشعايب وبني يحي وقد زار جملتهم كما التقى مع بعض فضلائهم أولاد الفقيه من قرية ثوفة.[1]

كما زار الشيخ الأفاضل من أولياء بسكرة حيث يقول: "... في تكميل ما تعلق بأحوالنا ببسكرة... ومع ذلك نحن مشتغلون بزيارة الأفاضل...سيدي أبي الفضل... والشيخ سيدي زرزور..."[2].

كما أن الشيخ وعند دخوله إلى قرية سيدي عقبة[3] زار قبره الشريف حيث قال "... وصلنا إلى قبره الشريف وتربه المنيف أتينا إلى قبالة وجهه وجسده الظريف..."[4]، كما زار الشيخ الورثلاني بعض الصحابة قيل له أنهم مدفونون هناك.

ثالثا – ظاهرة الاختلاط:

في حديثه عن ظاهرة الاختلاط بين النساء والرجال قال: "تتمة مما يجب التنبيه لمثل ما سبق ما يقع عند الصالحين في وطننا من المناكر والمحرمات التي لاتعد ولا تحصى كثرة كاجتماع النساء والرجال الذين فيهم فتنة عظيمة فإن أكثر ذلك الشبان والشابات المتنعمات فمن شاهد ذلك تاه عقله وخاب سعيه وضل قصده وفسد مذهبه وقبح عمله...وذلك كالاجتماع ببجاية آخر رمضان فإنه موسم عظيم يجتمع فيه العامة والخاصة وكذا يوم عرفة عند قبر القطب سيدي يحي العيدلي فإن النساء والرجال يجتمعون هنالك... بقسنطينة وفي جبلنا المثقوب...وكذا مسجد حنيف وغيرهم من

---

[1] نفسه، ص28.

[2] الورثلاني: المصدر السابق، ص140.

[3] **عقبة بن نافع الفهري:** من كبار قواد المسلمين، وهو ابن أخت عمرو بن العاص فاتح مصر، تولى عقبة قيادة الفتح في افريقية سنة 42 هـ / 663 م، واسس القيروان سنة 670 م، تقدم منتصرا نحو الغرب حتى المحيط، وفي طريق العودة فاجأته جيوش بعض القبائل عند مخرج الوادي فقتلته سنة 683م. انظر: مولاي بلحميسي: المرجع السابق، ص100.

[4] الورثلاني: المصدر السابق، ص145.

المواضع التي يكون الاجتماع فيها في الظاهر على الله وفي الباطن على شهوات النفس وخطرات الشياطين ووساوس اللعين فإن مفاسد تلك المحال أعظم من خيرها..."[1].

ويسلط الرحالة الألماني هابنسترات الضوء على ظاهرة الزنا في المجتمع الجزائري في معرض حديثه عن قسنطينة حيث يقول: "إن الصخرة التي بنيت عليها قسنطينة شاهقة الإرتفاع بحيث يبدو الأشخاص أسفل منها عندما تنظر إليهم صغار جدا، ومن تلك الهوة السحيقة تُلقى النساء عندما تثبت عليهن جريمة الزنا، وهذا الأمر كثير الحدوث لأن هذه المخلوقات الشقية اللاتي تعيش واقعا صعبا جدا لا تعوزهن الوسيلة لخيانة أزواجهن"[2]

رابعا – دفن الميت:

يقول فيه الشيخ الورثلاني عند دخوله محلة زواوة والتي تأتي إلى نواحي قابس بتونس: "مررنا عليها صبيحة عند الضحى الأعلى فمات عندنا... قاضي محروسة بسكرة، فدفناه هناك وقد اجتمع عليه جمع كثير وجم غفير وذلك من علامات سعادة الميت " ويستشهد على ذلك بقول الإمام أحمد بن حنبل "بيننا وبينكم الجنائز" وقد أسلم عند موته بين اليهود والنصارى ثمانية آلاف وقد انغلقت الدكاكين والأسواق شهرا لعزائه وقد صلى الناس نحو الثمانين ألفا..."[3].

ومن العادات التي ذكرها الورثلاني هو المكان الذي يحرم منه الحجاج في قوله "فقربنا منزل رابغ...فصلينا الظهر ثم أقمنا نستعد لأحوال الإحرام وكثير من الركب لا يعرف أحكام الإحرام فصار جميعنا معشر الطلبة نعلمهم فرائض الإحرام...ولبسنا الأزرار والرداء...وأزلنا المخيط..."[4].

المبحث الثالث: الصراع بين بعض القبائل والسلطة الحاكمة

---

[1] نفسه، ص557-558.

[2] هابنسترات: **رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس**، تع: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، دط، تونس، دت، ص90.

[3] الورثلاني: المصدر السابق، ص751-752.

[4] نفسه، ص445.

شجع الحكام الأتراك التنافس القبلي والصراع العشائري المتعمد على إثارة النعرات وروح العصبية في الكثير من الجهات، وذلك حتى تبقى الكلمة الأولى والأخيرة لممثلي البايلك كما هو الشأن في الهضاب العليا، كقسنطينة والأوراس، وبعض المناطق الصحراوية. وأمام هذه الاستراتيجية التي تبناها الأتراك، نجد الحسين الورثلاني يسلط الضوء على تلك القبائل الممتنعة عن الخضوع لسلطة الأتراك.

يقول في هذا "وحكم السلطان غير نافذ فيهم إذ لا يقدر عليهم وإن كانوا قريبا من الجزائر لكونهم تحصنوا بالجبال..."[1].

كما استدل الورثلاني عن الظلم ولاة الأمر من جهة وظلم الأعراب من جهة أخرى، حين نقل عن أحمد بن ناصر قوله عن بسكرة: "اجتمع عليها أمران، ظلم الأتراك وظلم الأعراب فكانت بينهما كالكرة في أيدي الصبيان، مع نفوذ الوعيد منها من أمر الوباء حتى صارت في قلة"[2]

ساعدت طبيعة الشرق الجزائري الجبلية وعدم تعرضه لثورات مدمرة، كثورات سويد، والأمحال، ودرقاوة، والتجانية التي تأثرت بها الجهات الغربية والجنوبية من الإيالة، على تزايد نفوذ المجموعات القبلية الكبرى التي أصبحت تسيطر على ثلثي بايلك الشرق حتى اضطر البايات إلى التعامل معها والاعتراف بزعامة شيوخها، مثل مشيخات: النمامشة، والحنانشة، والحراكتة، قصر الطير جنوب سطيف) وأولاد بوعزيز ببلزمة، وأولاد بوضياف بالأوراس الأوسط والشمالي، وأولاد قاسم جنوب شرق قسنطينة، وأولاد عاشور بفرجيوة، وأولاد مقران بمجانة، وبني جلاب بتوغرت، وأولاد ابن قانة بالزيبان وغيرهم.[3]

أما وصول الشيخ الورثلاني إلى بسكرة فقد كان عند الضحى وقد وصفها بمائها الوفير، العذب ونخلها العظيم وزرعها وكذا الفواكه خصوصا الزيتون كما وصف بسكرة بأنها كانت قاهرة

---

[1] الورثلاني: المصدر السابق، ص18.

[2] نفسه، ص142.

[3] ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط4، الجزائر، 1984، ص108.

عظيمة البنيان والجامع الأعظم يدل على ذلك، ولكن كل ذلك ذهب أدراج الرياح، ويرجع الشيخ في قوله "... غير أن القديمة أي المدينة قد خربت وصارت دكا وسبب ذلك فتنة بينهم فأدخلوا الترك فأهلكوها حتى بقي القليل منها..."[1].

وقد روى الشيخ الورثلاني ما قاله سيدي أحمد بن ناصر في أحوال طولقة مانصه "...وإتقان البناء إلا أنه قل عامروه وضعف ساكنوه فلا ترى فيهم مدرسا ولا فقيها ولا قارئا مع توفر أسباب العمران فيها قد جمعت من التل والصحراء ذات نخيل كثير وزرع كثيف وزيتون ناعم وكتان جيد وماء جار في نواحيها وأرحاء متعددة تطحن بالماء ومزارع حناء..."[2].

كما استشهد بالرحالة العياشي حين قال "...وبالجملة كما قال الإمام العياشي في رحلته ما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقا وغربا أحسن منها ولا أحصل ولا أجمع لأسباب المعاش إلا أنها ابتليت بتخالف الترك عليها وعساكر العرب فيستولي عليها هؤلاء تارة وهؤلاء تارة إلى أن بنى الترك حصنا حصينا على رأس العين التي يأتي الماء منها إلى بسكرة فملكوا البلد وأضروا بأهلها وأجحفوا بهم في الخراج ولم يقدروا على الخروج عليهم لتمكنهم من الماء الذي به حياة البلد وأهله واجتمعت عليها غارات العرب من خارج و ظلم الأتراك من داخل وقد أشرفت على الخراب وقاربت أن تكون فقراء يبابا..."[3].

وما يؤكد ما ذهب إليه الشيخ الحسين الورثلاني، هو ما تحدث عنه Laugier de Tassy . لويجي دي تاسي، في كتابه Histoir du royaume d'Alger، حيث يتطرق إلى الثورات التي يقوم بها بعض القبائل الرافضة للوجود العثماني ممثلا بسلطة الباي على أراضيها، كما يعطينا صورة عن تلك المعارك التي كانت جبال القبائل مسرحا لها، وكانت تنتهي بانتصار القبائل أحيانا ويتم طرد الأتراك منها وأحيانا أخرى ترجع الغلبة إلى الأتراك، ولكن رغم ذلك الانتصار إلا أنه

[1] الورثلاني: المصدر السابق، ص115.

[2] الورثلاني: المصدر السابق، ص118.

[3] الورثلاني: المصدر السابق، ص118. مولاي بلحميسي: المرجع السابق، ص28-29.

يبقى آني، بحيث لم يتمكن الأتراك من بسط سيطرتهم على كل المنطقة، كما أنهم لم يتمكنوا من إخضاع القبائل لسلطتهم.[1]

دخول الشيخ الورثلاني إلى زمورة: يقول الشيخ "... وزمورة كثيرة المياه... وفيها قائد ولأهلها سائد بهم يظلم وكيدهم في نحورهم دائم، يسعون ببعضهم بعضا، وقد أهلكوا ولم يكن من الله الرضى، وبسبب ذلك اضطرمت نار الفتنة وحقت عليهم كلمة اللعنة فليس يقبل منهم الاعتذار لأن القاتل والمقتول في النار، بأنفسهم عذبوا، وبرأيهم أصيبوا، أزال الله منهم هذه الأوصاف، ورزقهم تحف الألطاف، ورزقها رغد وخيرها مدد..."[2].

"وما ذكرنا من بني يعلى وزمورة وطن واحد كثير الأمطار والعيون ومع ذلك كثير المعاصي والبدع، وقل الحكم فيها وارتفع..."[3].

ذكر الشيخ ما كان من عرب النماشة حيث قال "... بتنا في الطريق قبل غزران... ووجدنا عرب النماشة فهم أقبح الناس وكثرهم شرا فمنهم من يأتي للخطفة ولا يحكم بعضهم في بعض ومع ذلك إنهم لم يكونوا في حكم سلطان تونس ولا في حكم باي قسنطينة فإنهم هاربون في الصحراء وأخدوا منها بغلة وجملين ونحن أخدنا منهم فرسا ومكاحل أعطيناهم لصاحب البغلة والجملين"[4]

المبحث الرابع: مظاهر المقارنة بين البلدان في رحلة الشيخ الحسين الورتلاني

من مظاهر المقارنة، وتذكر الوطن في مراحل السفر الأخرى كمرحلة تونس، التي صادف فيها قرية شبيهة ببسكرة، رغم اختلافها عنها في المباني، يقول الحسين الورثلاني: "فنزلنا توزر... وهي بلدة عظيمة من قواعد الجريد كثيرة النخل مع جودة تمرها إذ لا نظير له في سائر بلاد الجريد قوية المياه فيها أنهار ماؤها عذب وبناؤها شامخ مستحسن مرونق فهي أفضل من بسكرة لأن بناؤها بالطوب وهي

[1] Laugier de Tassy: Histoire du Royaume d'Alger, Amesterdam, Hollande, 1724, pp318-324.

[2] الورثلاني: المصدر السابق، ص108.

[3] نفسه، ص109.

[4] نفسه، ص137-138.

بناؤها بالأجر والجبس في غاية الإتقان مع طول البنيان إلى العلو وسعة عرضه حاصله إنها قرية طيبة جيدة وذلك عام في الدور والمساجد بخلاف بسكرة فإن حسنها في مساجدها فقط ".[1]

كما زار قرية الخنقة ويقول عنها: "والخنقة قرية مباركة طيبة ذات نخل وأشجار في وسط واد بين جبلين وقد قيل أنها تشبه مكة في وضعها وفي البركة..."[2].

وفي طرابلس وجد شبها بين قرية تاجورا، وقرية أخرى جزائرية. "وتاجوراء هذه قرية طيبة فيها أشجار وفيها فاكهة ونخل ورمان، نعم رمانها لا نظير له فيما رأيت إلا في مواضع قليلة وقد وجد في قرية عندنا تسمى أمالو فان رمانها أولى من هذا وأحلى منه"[3].

ويذكر عن الزاوية الغربية بقوله: "فاعلم أن في الزاوية الغربية الصالحين وأهل الخير لا نظير لهم فيما علمت غير أن أهل الجزائر يعني من سكن المدينة، وكذا أهل وطننا، فإنهم أعظم منهم لا سيما جبال زواوة فإنهم أكرم شيء في الوجود، إذ يأكلون الرديء ويطعمون الضيف الطيب، ووطنهم في غاية الضيق من المعيشة"[4].

ويقارن الورثلاني بين مظاهر العيش الرغيد، الذي تمتع به أغنياء مصر، وعاينه زمن رحلته وما كان يعانيه أهل الوطن المغاربي من قلة مرافق، وتخلف في شتى الميادين، قال الكاتب عن ركب الحجاج المصري، وأرزاقه التي لاتحصى: " فلا تسأل عنها – أي الأرزاق –، ومن عجائب ذلك أن أرزاقها أكثر منها فإن أهل وطننا بل سائر المغاربة يعلمون أنهم ليسوا من أهل الدنيا بل أموات بالنسبة إلى ما رأوا من زخارف من خرج من مصر بحيث لا يحيط ديوان بأنواع ذلك "[5].

---

[1] نفسه، ص122.

[2] نفسه، ص150.

[3] الورثلاني: المصدر السابق، ص172.

[4] نفسه، ص197.

[5] نفسه،ص555.

يقول الورثلاني في وصفه لمدينة قسنطينة: أنها تعتبر قاعدة من قواعد الجزائر ويحكمها الباي،[1] والمقصود هنا الباي صالح الذي نظم اقتصاد البايلك الزراعي والصناعي والتجاري وتهتم بالعمران والإرادة فاستحدث شبكة من قنوات الري وأمر باستصلاح مستنقعات على ضفاف وادي سيبوس لاستغلالها في الزراعة.[2]

ويقول عنها أيضا: "هي مدينة قوية ليست كبيرة جدا ولا صغيرة أيضا وعليها سور كبيرة وفيها أبواب ثلاثة باب الوادي وباب الجابية وباب القنطرة وفيها بويب صغير يخرج منه الآدمي وفيها أسواق كثيرة ودكاكين طيبة ومساجد للجمعة نحو الخمسة وبعضها في غاية الإتقان كمسجد الباشا في طرابلس، وأظن صانعهما واحد وهده المدينة مبنية على كهف وجرف عظيم يكاد من سقط منه أن يهلك بل يموت قطعا وفيها قصبة عظيمة وعسكر من الترك بقدر حالها وباي سطوته عظيمة"[3].

وهنا يقصد الباي صالح[4] الذي بدأ حكمه بالقضاء على تمرد أولاد نايل الدين شقوا عصا الطاعة في وجه الداي بالعاصمة، فقاد حملة عسكرية ضدهم واقتحم الجلفة وبوسعادة وفتك بالكثير منهم وأدبهم، كما هاجم أولاد عاشور في فرجيوة وكرر هجوماته إلى غاية عام 1781 م بسبب عصيانهم وامتناعهم عن الاعتراف بسلطة البايلك ودفع الضرائب.[5]

---

[1] نفسه، ص791.

[2] محمد صالح العنتري: **تاريخ قسنطينة**، تح: يحي بوعزيز، دار هومة، دط، الجزائر، 2007، ص77.

[3] الورثلاني: المصدر السابق، ص791.

[4] **صالح باي**: ولد في مدينة أزمير بتركيا عام 1739 م، تقلد منصب الخليفة في عهد 1765 م، في عهد احمد القلي باي قسنطينة في تلك الفترة، ولما توفي عين على رأس البايلك سنة 1771 م. محمد صالح العنتري:المصدر السابق، ص75.

[5] محمد صالح العنتري: المصدر السابق، ص76.

الفصل الثالث: الأوضاع الثقافية للجزائر في رحلة الشيخ الحسين الورثلاني

المبحث الأول: المؤسسات الثقافية في الجزائر

المبحث الثاني: المسائل الفقهية التي تعرض إليها الشيخ الحسين الورثلاني

المبحث الثالث: نماذج عن البيوتات العلمية في الجزائر

أما عن الجانب الثقافي في رحلة الحسين الورثلاني، فقد أخد حيزا كبيرا من الاهتمام والعناية، ومرد ذلك إلى أن هذه الرحلة تعتبر، أهم رحلة جزائرية اعتنت بتسجيل الأخبار الجغرافية والتاريخية للبلدان العربية، وما يدل على هذا المضمون عنوانها "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، فاختيار هذا العنوان ليرصع به مؤلفه يعطينا فكرة بأن، المؤلف الحسين الورثلاني يدرك جيدا مكامن الضعف والنقص في تناول هكذا مواضيع، واعيا بمشكلة نقص التأليف خاصة في بلده الجزائر[1] والاهتمام بالتاريخ فيه،فأراد أن يساهم في هذا الجانب الذي يراه شريفا وضروريا، حيث قال في هذا الشأن: "...لاسيما أهل بلادنا، فإن علم التاريخ منعدم فيهم، وساقط عندهم فيحسبونه كالاستهزاء أو اشتغالا بما لا يعني أومن المضحكةالمنهي عنها..."[2]

ومن هنا نجده تطرق إلى عدة محاور تمس الجانب الثقافي في الجزائر والحالة التي كانت عليها.

المبحث الأول: المؤسسات الثقافية في الجزائر

أولا– أهم المؤسسات التعليمية:

من المتعارف عليه أن التعليم في الجزائرخلال العهد العثماني، كان شبه مستقل عن السلطة الحاكمة، فهو لمراقبة وتوجيهات نظار الأحباس، لأن نفقات التعليم وأجور المعلمين والمدرسين الذين يقومون بهذه العملية يتقاضونها من ريع الأوقاف، وبفضل تلك الأموال الموقوفة والأحباس التي حبست على الزوايا، انتشر التعليم في المدن والأرياف، حيث كان غالبية سكان الجزائريحسنون القراءة والكتابة والعمليات الحسابية، وهذا ما لاحظه الفرنسيون لدى احتلالهم هذه البقعة الطاهرة من أرض

[1] **الجزائر**: هي مدينة عامرة عرفت في القديم ب "إيكوزيوم"، وهي مدينة رومانية، خضع ساحلها لسيادة قرطاجة في القرن 7 ق. م، احتلها قيصر في القرن 2 ق. م، فتحها المسلمون في 63 هـ / 682 م، يرجع اسمها لجزر صخرية كانت بساحلها ومنهم من يقول: إن قبائل من بني مزغنة من صنهاجة، فتعلق اسمها بهذه القبائل في الماضي، يقول الزياني: إن أول من أسسها هو بلكين بن زيد الصنهاجي في القرن 361 هـ / 971 م، بنا بها يوسف بن تاشفين مسجدا عظيم في 460 هـ / 1067 م، حكمها بني عبد الواد 633 هـ / 1235 م، ثم الحفصيون في القرن 14 م، استولى عليها العثمانيون 924 هـ / 1518 م. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص221.

[2] الورثلاني: المصدر السابق، ص689.

الإسلام.كما تخضع تلك المؤسسات التعلمية المختلفة، إلى قوانين البايلك، ويأتي في مقدمة تلك المؤسسات التعليمية:

1- المساجد: كانت المهد الأول للتعليم، وأماكن لأداء الصلاة ولتحفيظ القرآن الكريم ومعالجة مشاكل الناس وتدريس العلوم الشرعية والإنسانية، كما أن أغلب المدن الجزائرية كانت تحوي مسجدا يطلق عليه اسم الجامع الكبير وهو الاسم الذي اشتهر به بين الناس إما لقدمه أو لسعته، أو حجمه أو أوقافه أو مركزه.

كما أدت المساجد دورا هاما في تعليم النشأ العلوم الشرعية، بحيث كانت تستقبل الطلبة والمصلين على حد سواء، وبالتالي تؤدي وظيفة العبادة والجامعة والمعهد في آن واحد، فتعقد بها الحلقات وتنظم فيها المناظرات العلمية، كما تجتمع فيها العامة والخاصة، مما يعطينا صورة واضحة حول دور المسجد عبر التاريخ الإسلامي، لا كما يظن البعض على أنه دار للعبادة فقط، بل كان منارة علمية ومركز إشعاع ثقافي.[1]

وكان التعليم، في ذلك الحين يشتمل على ثلاث مراحل:

أ- المرحلة الإبتدائية: وفيها يدخل التلميذ الذي تتراوح سنه مابين الرابعة والسادسة إلى الكتاب، ويحفظ القرآن تحت إشراف معلمين يختارهم سكان القرية أو الحي، وتدفع أجورهم مما تدره أملاك الأحباس أو من عند الأولياء[2] أنفسهم.[3]

ب- المرحلة الثانوية: وتتم في المساجد[1]، يلتحق الطالب ليتابع دراسته المتوسطة والثانوية، من عادة الطلبة أنهم لايدرسون في مدنهم أو جهاتهم بل يبتعدون عن مواطنهم فيقصدون المساجد والزوايا.[2]

---

[1] مصطفى علوي: "الحياة الثقافية في المغرب الأوسط من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المغاربة خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين"، **مجلة كان التاريخية**، الكويت، ع18، ديسمبر 2012، ص76.

[2] **الولي:** من الولاية والولاية عند المتصوفة هي تولي الحق سبحانه وتعالى عبده، بظهور أسمائه وصفاته عليه والولي هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحق، مثل الجنيد، والشيخ عبد القادر الجيلاني وأمثالهم. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص158.

[3] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص48.

وفيها يتلقى الطالب مبادئ الفقه واللغة والنحو والصرف والميراث والحساب.

جـ- المرحلة العالية: وتكون في المدارس المحلية والمساجد الكبيرة والجامعات العربية مثل الأزهر والزيتونة، ولا يدخلها إلا المتفوقون من الطلبة.[3]

وفي رحلة الشيخ الحسين الورثلانينجده يتكلم عن تشييد وبناء ودور المساجد وعمارتها عبركامل أطوار رحلته بداية من مسقط رأسه وحتى دخوله إلى التراب التونسي.[4]

يتحدث الورثلاني عن مدينة بسكرة فيقول: "هذه المدينة كانت قاهرة عظيمة البنيان والجامع الأعظم يدل على ذلك فإنه لانظير له وصومعته ما أحسنها وما أوسعها..."[5].

كما تحدث الورثلاني عن طولقة فقال: "وهم أهل الجود والفضل... وزرنا مسجدا وطلعنا إلى مأذنته وهي في غاية الإتقان والطول والسعة تقدر الدابة على الصعود بحملها إدراجها مائة وأربع وعشرون درجة والمسجد في غاية السعة وإتقان البناء إلا أنه قل عامروه وضعف ساكنوه..."[6].

كما أشاد الورثلاني ببعض مساجد قسنطينة[7] حين قال "وصلنا إلى قسنطينة... ومساجد للجمعة نحو الخمسة وبعضها في غاية الإتقان كمسجد الباشا في طرابلس وأظن أن صانعهما واحد..."[1].

---

[1]Noushi Andre: "constantine a la veille de la conquéte", cahier de tunisie, N11,T3, 1955, p386.

[2] أبو القاسم اسعد الله: المرجع السابق، ج1، ص348.

[3] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص48.

[4]**تونس:** مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل بحر الروم بينها وبين القيروان مقدار مئة ميل، كان اسمها قديما ترشيش، فتحها حسان بن النعمان وعمل على تحصينها، وقد واصل دربه عبد الله بن حباب حيث بنى بها دارا للصناعة عرفت بعد ذلك بدار العلم والفقه والملك، بها جامع الزيتونة الشهير. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص203.

[5] الورثلاني: المصدر السابق، ص115.

[6] نفسه، ص ص115-117.

[7]**قسنطينة:** هي مدينة قرطاجية الأصل، تقع على ثلاثة أنهار عظام، عرفت باسم سرته أو سيرتا وهو اسم كنعاني فينيقي كانت عاصمة لنوميديا، ثم أصبحت مستعمرة رومانية ومركزا لشحن الحبوب بها، خربتها الحروب الأهلية سنة 311م، أعاد بنائها

إن إشارة الحسين الورثلاني إلى مساجد قسنطينة يدفعنا إلى الحديث عن الباي الذي كان له الفضل في بناء وتجميل تلك المساجد وهو الباي صالح بن مصطفى.

تولى صالح بن مصطفى شؤون بايلك الشرق بأمر من الباشا محمد عثمان سنة 1771م، أخد على عاتقه النهوض بتلك الديار، فسعى منذ الوهلة الأولى، في تجميل العاصمة الشرقية، حيث قام ببناء مسجد سيدي الكتاني سنة (1190 هـ . 1776 م)، والمدرسة الملاصقة له والتي بها ضريحه والقصر الذي اختطه لسكناه وهو قريب من المسجد المذكور.

وقد كان اليهود يسكنون في مدينة قسنطينة مختلطين مع المسلمين، فأقطع جهة باب القنطرة على أن يبنوا بها ملاحهم ففعلوا، حتى أن أحدهم قال عنه: "إنه نظام لو قابلناه بنظام المدارس الفرنسية العليا في ذلك العصر لما كان دونه".[2]

ويذكر محمد العربي الزبيري أن قسنطينة وتلمسان والعاصمة هي أهم المراكز الثقافية في البلاد وتذكر المصادر أن قسنطينة وتلمسان وحدها كانت تشمل على إثنين وأربعين مسجدا للتعليم الثانوي فيها مابين ست وسبعمائة تلميذ وتسعين مدرسة ابتدائية، يزاولها حوالي خمسين وثلاثمائة وألف تلميذ تتراوح أعمارهم مابين ست وعشر سنوات.[3]

يذكر الرحالة الزياني[4] أنه لقي عددا من علماء قسنطينة، وقد سرا بهذا اللقاء الذي أنساه وحشته وزاد معلوماته وهم:الشيخ عمر الصايغي، وأبو الحسن علي بن مسعود الونيسي، وأبو القاسم

قسطنطين الأول في أول القرن الرابع الميلادي، سميت باسمه وبالاستعمال العربي خففت. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص203.

[1] الورثلاني: المصدر السابق، ص791.

[2] محمد طمار: **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الرغاية، الجزائر، 1983، ص252.

[3] محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص49.

[4] **الزياني**: (1147 . 1249 هـ/1743 . 1833 م) هو أبو القاسم بن أحمد بن علي الزياني، رحالة وأديب ووزير مغربي، ولد بفاس سنة (1147 هـ . 1734 م)، تعلم بها على أساتذة أجلاء، عين كاتبا بالقصر الملكي، ثم عين لسفارة إلى إصطنبول، ثم عين واليا على وجدة لإخماد فتنة آنقاد، لكنه فشل، فلجأ إلى المغرب الأوسط. مولاي بلحميسي: ص 20-21.

المحتالي، أحمد بن المبارك العلمي، والسيد ونيس البورنياري، وكلهم أصحاب أدب وفقه وفضل، غير أن أصحاب التراجم أهملوا الكثير منهم.[1]

وقد تكلم الحسين الورثلاني في رحلته عن المساجد فيقول "أما أهل مغربنا فلا تكاد ترى في مدائنهم مسجدا عظيما قد أحدث بل ولا مهد ما قد جدد، ولا واهيا قد أصلح، بل لو سقط شيء من أكبر مساجدهم فأحسن أحوالهم فيه إن كان مبنيا برخام أن يعاد بآجر وجص، وإن كان مجصصا أن يعاد بطين، بحيث تجد المسجد كأنه معرقة فقير هندي فيه من كل لون رقعة... وما أرى ماحل بمغربنا من الوهن إلا بسبب أمثال هذا..."[2]

وكانت العناية بالمساجد ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري المسلم، فلا تكاد تجد قرية أو حيا في المدينة بدون مسجد فقد كان المسجد هو ملتقى العباد ومجمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية، وهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، إذ حوله كانت تنتشر المساكن والأسواق والكتاتيب وكان المسجد أيضا الرابط بين أهل القرية والمدينة أو الحي لأنهم يشتركون جميعا في بنائه كما كانوا جميعا يشتركون في أداء الوظائف فيه، وقد كان تشييد المساجد عملا فرديا بالدرجة الأولى، فالغني المحسن هو الذي يقود عملية بناء المسجد والوقف عليه وصيانته.[3]

2- الزوايا: تعد الزوايا من أهم المؤسسات الثقافية والمراكز الدينية التي لعبت دورا كبير وهاما في نشر الوعي والعلم في أوساط العامة داخل المجتمع الجزائري، وقد وقف عندها الرحالة بكثير من الوصف،حيث جمعت بين العلم والتربية في بناء شخصية الفرد الجزائري، فبالإضافة إلى تعليم القرآن الكريم، كانت تقدم دروس في اللغة العربية، كما حافظت على الدين الإسلامي في عصر الجهل وانتشار البدع والخرافات.

[1] مولاي بلحميسي: االمرجع السابق، ص38.

[2] الورثلاني: المصدر السابق، ص319.

[3] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص244.

اتسع دور الزاوية إلى أن أصبحت زاوية إطعام يأوي إليها عابروا السبيل، حيث جاء في وثيقة حبوس تنيلان مايلي: "وأن الأرض المذكورة وماؤها محرر من جميع الوظائف وصنوف المغارم وضروب اللوازم من سلطان وقائد والعرب والعجم وأنها لله والدار الآخرة"[1].

وعن الرسالة السامية للزوايا يقول محمد المأمون المصطفى القاسمي الحسني (شيخ زاوية الهامل ببوسعادة) " إن رسالة الزوايا، كما يتضح لكل دارس نزيه رسالة شاملة شمولية هذا الدين، وانها رسالة حضارية أرتبط بها تاريخ الجزائر العلمي والثقافي ارتباطا وثيقا، فلم يقتصر دورها على التربية والتعليم، بل كانت وظائفها أشمل وأعمالها أعم وأوسع فهي معقل تربية وجهاد ومعهد علم وعمل، وموطن تلاوة ذكر ومجلس إصلاح وقضاء ومكان رأي ومشورة وملتقى تعاون وتضامن وتكافل.[2]

تعتبرمنطقة زواوة وبجاية من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا، فقد تصل فيها إلى خمسين زاوية[3]...وقد كانت زاوية تيزي راشد (وتسمى أيضا زاوية ابن اعراب) ذائعة الصيت يقصدها التلاميذ من النواحي المجاورة والبعيدة،وممن تخرجوا منها محمد الفريرا المشهور بالذباح الذي تولى التيطري...واشتهرت بنشر التعليم أيضا زاوية الأزهري بآيت إسماعيل، وزاوية ابن علي الشريف بأقبو، وكذلك سيدي منصور بآيت جناد ومعظم أصحاب هذه الزوايا كانوا ساخطين على الأتراك...وهو ما يقره أيضا الشيخ الحسين الورثلاني ويوثقه في رحلته.[4]

---

[1] عبد الرحمن التنيلاني: **رحلة الشيخ عبد الرحمان بن إدريس بن عمر بن عبد القادر التنيلاني إلى ثغر الجزائر**، تح: خير الدين شترة، دار كردادة للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2015، ص210.

[2] عبد الله زروقي: "واقع الزوايا في إقليم توات بين مقتضيات الأصالة ومتطلبات الرسالة"، **مجلة الحضارة الإسلامية**، ع14، الجزائر، 2010، ص213.

[3] **الزاوية**: لغة مأخوذة من فعل زوى وانزوى بمعنى ابتعد وانعزل، وسميت بذاك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة من المتصوفة والمرابطين اختاروا الانزواء في بنائها، مبتعدين عن صخب العمران وضجيجها طلبا للهدوء والسكون الذين يساعدان على التأمل والرياضة الروحية.

اصطلاحا: يراد بها مأوى المتصوفين والفقراء، وقد ظهرت الزوايا بالمغرب الإسلامي ابتدأ من القرن 4 هـ/. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص 161.

[4] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص264-265.

يقول الشيخ: "وزيارة هذا الشيخ بعد أن زرنا مقام الشرفاء في بو جليل، فإنهم أهل فضل وبركة وعناية وقد اجتمعنا معهم في الجد الأعلى والشرف على ماكنا نسمعهن أعالي أسلافنا "[1].

وفي قوله "...دخلت بجاية وزرت الشيخ سيدي الصوفي ولم أحفظ من أمره شيئا إلا أن أهل بجاية يعظمونه غاية التعظيم وأنه من أهل التصريف في بجاية نفعنا الله به آمين "[2].

كما يقول عن تلمسان "...زرت خلوة الشيخ سيدي أبي مدين الغوث وقد زرت قبره والحمد لله في العباد في تلمسان أرض الجدار وزرت معه الشيخ السنوسي والإمام إبن زكري والعقبانيين والإمام إبن مرزوق وولدي الإمام..."[3].

ثانيا– الإجازة العلمية:

تعتبر الإجازة العلمية تتويجا لطالب العلم على مشواره الدراسي الدي بلغ به حد الاعتراف له بمكانته العلمية من طرف علماء أجلاء وهي في عصرنا الحالي تعتبر شهادة نهاية الدراسة، وقد تطور مفهوم الإجازة العلمية مع اختلاف الأزمنة والعصور.[4]

1– تعريف الإجازة لغة: الإجازة مصدر، وأصلها إجوازة تحركت الواو، وتوهم انفتاح ماقبلها فانقلبت ألفا، وحذفت إحدى الألفين لالتقاء فصارت إجازة، وهي مشتقة من فعل جوز ويقال جزت الموضع أي سرت فيه وأجزته خلفته وقطعته أجزته أنقدته. والجواز " الماء الدي يسقاه المال من الماشية أو الحرث ونحوه وقد استجزت فلانا فأجازني إدا سقاك ماءا لأرضك أو ماشيتك.

2– تعريف الإجازة إصطلاحا: يعتبر مصطلح الإجازة من المصطلحات الكثيرة التداول في التاريخ الفكري إلا أن مفهومها يختلف باختلاف مجالات استعمالها،فهناك الإجازة في الشعر، الإجازة الصوفية[1]، الإجازة الأدبية، الإجازة العلمية وهي ما يهمنا في بحتنا هدا.[2]

---

[1] الورثلاني: المصدر السابق، ص25.

[2] نفسه، ص35.

[3] نفسه، ص35.

[4] فوزية لزغم:**الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية**، دار سنجاق الدين للكتاب، دط، الجزائر، 2010، ص15.

وحتى يحظى الدارس بثقة أهله ومواطنيه، بعد العودة إلى بلاده، لابد له من بيان يثبت أنه درس على علماء أجلاء وأنه أتقن أصنافامن العلوم وأنه إغترفها من أمهات الكتب وأنه حفظ متونا " كلاسيكية " ترفع من شأن الفائز.

ولاتخلو نصوص الإجازات من فوائد إخبارية فهي عرض واسع للعلوم الإسلامية وكشف للكتب التي راجت واشتهرت فأصبح العلم لايتم إلا بها وهي قائمة للمدرسين ولشيوخهم وشيوخ هؤلاء فيظهر بذلك الإسناد والروابط الوثيقة بين علماء المشرق وعلماء المغرب وهيكل نص الإجازة يكاد يكون واحدا، فيبدا الأستاذ المجيز بالحمد والصلاة والدعاء وقد تطول الديباجة أو تقصر ثم ينتقل الأستاذ إلى ذكر المحصل على الإجازة فيصف مواهبه واجتهاده والمدة التي قضاها بجانبه والنتيجة في النهاية وهي غزيرة المعارف والإذن له بأن ينشرها وأن يروي عنه.[3]

يقول أبو القاسم سعد الله:"وإذا كانت الإجازة تعتبر شهادة كفاءة أو تأهيل يستحق بها المجاز لقب الشيخ أو الأستاذ في العلوم المجاز بها، فإنها بتقادم العهد أصبحت لم تعني كل هذا، لتساهل المجيزين في منحها."[4]، ويقول أيضا: "أما الإجازات فقد عرفنا أنها تتناول السند وسرد أسماء الشيوخ ومواد الدراسة، ولكن صيغة بعض الإجازات، رغم موضوعها وثبوتها على شكل واحد تقريبا، كانت أقرب إلى الأسلوب الأدبي، لأن أصحابها كانوا من الأدباء المهرة عليها طابعهم وذوقهم وبذلك تصبح الإجازة أيضا قطعة أدبية من حيث الأسلوب على الأقل"[5].**(أنظر الملحق 06)**

---

[1] **التصوف**: أصل الكلمة مختلف فيه بين عدة معان نذكر منها أنه مأخوذ من "الصفاء"، والصفاء هو خلوص الباطن من الشهوات والمكدرات، كما يقال عنه إنه الوقوف مع الآداب الشرعية فيرى حكمها من الظاهر في الباطن، ومن الباطن في الظاهر، أما أصله المعنوي، فهو من الإحسان، الذي فسره النبي صلى الله عليه وسلم ب " أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " أما علمه: فيهتم بصفاء القلب من الشهوات كحب الرياسة، وحب السمعة والمحمدة من الناس وبصفائه من الكدرات أي من الأمراض القلبية: كالحقد والحسد والكبر والعجب. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص 89.

[2] فوزية لزغم: المرجع السابق، ص15.

[3] مولاي بلحميسي: المرجع السابق، ص 34

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص41.

[5] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص190.

المبحث الثاني: المسائل الفقهية التي تعرض إليها الشيخ الحسين الورثلاني

أولا– سماع الأغاني:يذكر الورثلاني: "... قلت وقد عمت البلوى والعياذ بالله بانكباب أبناء الطوائف على السماع بالدفوف والمزامير وسائر الآلات والأشعار والألحان واتخدوا ذلك صراطا مستقيما، وأتبعوا فيه شيطانا رجيما..."[1].

وقد أورد آراء بعض العلماء في تلك المسألة فقال: " ولهذا قال إمام الطريقة[2] الجنيد إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن بقية من البطالة."[3]، "وقال الشيخ[4] الإمام القدوة الهمام أبو الحسن الشاذلي[5]...سألت أستاذي... فعليك بكتاب الله الهادي وكلام رسوله الشافي... وأهل الحق إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وإذا سمعوا الحق أقبلوا عليه ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا "[6].

"وقال الإمام أبو العباس زروق وقد اتفقوا على منعه لما حدث فيه وبه من المفاسد حتى قال محي الدين رحمه الله السماع في هذا الزمان لايقول به مسلم ولايقتدي بشيخ يعمله أو يقول به."[7]

كما وضح وفصل في مسألة السماع بالأغاني وإنشاد الألحان والاشعار حيث قال: "...إذ هو معشش الدسائس وأحق بالنزاع ومغرس التخليط والتلبيس وأدخل في الابتداع إلا من عصمة الله

---

[1]الورثلاني: المصدر السابق، ص230.

[2]**الطريقة**: مصطلح صوفي، يقصدون به الطريق الموصل الى الله تعالى، كما أن الشريعة طريق موصل إلى الجنة وهي أخص من الشريعة لاشتمالها على أحكام الشريعة من الأعمال الصالحة البدنية، والانتهاء عن المحارم أو المكاره العامة وعلى أحكام خاصة من الأعمال القلبية والعقائد المختصة بالسالكين إلى الله تعالى. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص 154.

[3]الورثلاني: المصدر السابق، ص231.

[4]**الشيخ**: هو الذي سلك طريق الحق وعرف المخاوف والمهالك، فيرشد المريد بما ينفعه وما يضره، وقيل الشيخ هو الذي يقرر الدين والشريعة في قلوب المريدين والطالبين، وشرطه أن يكون عالما بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص 15.

[5]**أبو الحسن الشاذلي**: تنسب إلى أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي الأصل (591 هـ . 1190 م / 656 هـ . 1257 م)، نزيل الإسكندرية، من مصنفاته: الاختصاص من القواعد القرآنية". عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص68.

[6] الورثلاني: المصدر السابق، ص232.

[7]الورثلاني: المصدر السابق، ص230-231.

وقليل ماهم فلذلك كان إنكار السماع من كثير من العلماء وتحديرهم منه لاسيما في حق العامة..."[1].

كما ذكر الورثلاني مواضع الإباحة والتحريم والندب في قوله "... وبالجملة فالبحث بالإباحة والتحريم والندب إنما هو فيمن يلتبس عنا قصده وحاله ففيه التفصيل السابق والكلام حينئذ على أسلوبه والجري على نمطه نعم قرائن الأحوال تميز أحوال السامعين فمن علم أنه قصد أمرا مذموما في الشرع منع باتفاق ومن علم أن قصده صحيح لاعلة فيه شرعا كالزهاد والعباد جاز قطعا من غير خلاف..."[2]، ثم قال: "ولعمري كيف تسلم ديانة من يتعاطى السماع بالأغاني وإنشاد الألحان والأشعار، إذ هو معشش الدسائس وأحق بالنزاع ومغرس التخليط والتلبيس، وأدخل في الابتداع إلا من عصمه الله"[3].

ومن القضايا التي شغلت حيزا كبيرا من مناقشات وأقلام العلماء قضية القهوة والدخان، ولم تكن هذه القضية خاصة بعلماء الجزائر وإنما ساهم فيها هؤلاء كغيرهم من علماء المسلمين، فألفوا فيها وتناقشوا حولها وانتصر بعضهم لحليتها وبعضهم لحرمتها، ومن العلماء الذين طرقوا هذه المسألة نجد الشيخ الحسين الورثلاني، الذي كتب عنها في رحلته وفصل فيها.

ثانيا– شرب القهوة: يقول الورثلاني: "... أكثر العلماء مائلون في القهوة إلى الإباحة وترشح قولهم بفعل أكثر الصوفية من تورعهم في المطاعم والمشارب زاعمين أنها تعين على السهر في العبادة ويستعين بها الطلبة كثيرا في المطالعة الليلية."[4].

وقد جاء الورثلاني ببعض المشائخ الدين تحدثوا عن هذه المسألة، حيث قال: "أخبرنا شيخنا الملا إبراهيم بن حسن الكوراني أن شيخنا الإمام صفي الدين الفشاشي كان يقول مما أنعم الله به أهل الحجاز[1] هذا البن أي القهوة..."[2].

---

[1] نفسه، ص230.
[2] نفسه، ص237.
[3] نفسه، ص230.
[4] نفسه، ص319.

ويقول أيضا "... رأيت في مكة كلاما لابن حجر الهيتمي في إباحة القهوة بالغ فيه بالثناء عليها..."[3]، كما رأى الورثلاني كلاما لابن حجر الهيتمي المكي حيث قال "... في إباحة القهوة بالغ فيه بالثناء عليها وذكر محاسنها..."[4].

ثالثا– شرب الدخان: يقول الورثلاني فيه: "...قال وهذا الإستدلال كما ترى ساقط فإن الدخان الذي شاع في الأفاق أكثرالعلماء على تحريمه وهو الصحيح إن شاء الله..." [5].

"ومن ألف في إباحته الشيخ أبو الحسن الأجهوري، وقد رد عليه ابن الفكون ردا بليغا نقضه عروة عروة، وكذا أباحه سيدي أحمد التنبكتي السوداني، وقد أخبره السكتاني أنه راجعه في كثيرمن أدلته على الإباحة وقال أيضا: رأيت في شأنه نحوا من ثلاثين تأليفا بين محلل ومحرم "[6].

"...وقد قال الشيخ عبد الباقي في شرحه على العزية عند ذكره لشربه فقال بجوازه إذ لادليل على تحريمه شرعا والأحاديث المروية في منعه موضوعة يدلك على وضعها ركاكة ألفاظها غيرأن جوازه مقيد بقيود منها أنه لايضر بالبدن فإن أضر به حرم..."[7].

وقد شاع في الجزائر عندئذ شرب القهوة بكثرة ومضغ الدخان وتدخينه في السبسي أو الغليون، وقد كان اليهود يتاجرون في الدخان حتى أننا وجدنا في الأرشيف العثماني أن بعض الدكاكين كانت مخصصة لبيع الدخان وأن أصحابها كانوا يدعون بالدخاخنية وهم من اليهود والغريب أن بعض الدكاكين كانت ملكا للأوقاف الإسلامية "[8].

---

[1] **الحجاز:** جاءت هذه التسمية من الحجز، وهو ما تشد به وسطك لتشمل ثيابك، فالجبال ومكة والمدينة والطائف كأنها حجزت بين نجد وتهامة. عبد الرحمن المجاجي: المصدر السابق، ص 91.

[2] الورثلاني: المصدر السابق، ص321.

[3] نفسه، ص322.

[4] نفسه، ص322.

[5] نفسه، ص322.

[6] نفسه، ص735.

[7] نفسه، ص324.

[8] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص156.

ونجد أن معظم العلماء الجزائريين كان ميالا إلى حلية القهوة وتحريم الدخان، وعللوا حلية القهوة تعليلا صوفيا فقالوا أنها تنبه وتنشط الجوارح لعبادة الله وتساعد على السهر للقراءة والصلوات ونحوها من أنواع العبادة.

ثم إنها في نظرهم لاتسكر ولا يغيب معها العقل، وحذروا مع ذلك من شربها في جماعة التقت على اللهو، والسهر في الملذات والزهو، فشربها عندئذ يصبح حراما، أما الدخان فقد كانوا معه غير متسامحين مهما كانت الظروف.

ومع هذا المنع القاطع فالمعروف أن الناس كانوا يشربون القهوة بحضور النساء، كما كانوا يلعبون الشطرنج ويتناولون الحشيشة ويستمعون إلى الغناء والطرب، وكان العثمانيون قد جاؤوا بالنرجيلة وشاع استعمال السبسي للدخان ونحوه، وعرف عن علماء مصركانوا متساهلين في شرب الدخان، بينما كان علماء الجزائر محافظين، وكان أرباب السلطة مع العامة لامع العلماء في هذه القضية.

ومهما كان الأمر فقد كتب في تحريم الدخان أحمد المقري وعبد الكريم الفكون وعبد القادر الراشدي وأحمد البوني، وهم جميعا من كبار العلماء، أما المقري فلم يفرد بتأليف وإنما ذكره ضمن جواب له عن اجتناب الدخان، وقد سمى الفكون تأليفه في ذلك (محدد السنان في نحور إخوان الدخان)، أما الراشدي في نفس الموضوع...نجد أن الحفناوي قال أنه رسالة في تحريم الدخان، وفي النظم الذي سماه (مبين المسارب) تحدث البوني أيضا عن الدخان والقهوة، فالسماع للموسيقى والدخان والقهوة كانت من الموضوعات التي تناولها العلماء بالرأي حلالا أو حراما، وأخذت حيزا من وقتهم ومعارفهم، ولكنهم لم يستطيعوا أن يمنعوها نهائيا، كما لم يستطيعوا منع شرب الخمر المحرم بنص القرآن.[1]

كما تطرق الشيخ الورثلاني في مسألة أخرى إلى الخمر وما ورد فيه من أقوال العلماء، كما نجده قد أبدى رأيه فيه، والاستدلال على ذهب إليه.

[1] نفسه، ج1، ص462-463.

رابعا– شرب الخمر: يرى الورثلاني أن شرب الخمر حرام، فيقول "الخمر محرم بالكتاب والسنة والإجماع..."[1].

خامسا – الرشوة: أما عن ظاهرة الرشوة لتقلد منصب ما كمنصب المفتي مثلا، نجد أن الورثلاني قد وضح قول بعض الفقهاء فيها، حيث قال: "وقد قال بعض الفقهاء ممن شرح على مختصر كالشيخ إبراهيم الشبرخيتي، أن المتولي للأحكام الشرعية بإعطاء منه فأحكامه مردودة وإن وافقت الحق، وصلاته للجمعة باطلة إن كان إماما فإن بطلت عليه بطلت على جميع من اقتدى به"[2].

المبحث الثالث: نماذج عن البيوتات العلمية في الجزائر

أولا– مفهوم البيوتات:

1– التعريف اللغوي: جاء في المعجم الوسيط: "الْبَيْتُ الْمسكن... وَبَيت الله الْمَسْجِد وَبَيت الرجل امْرَأَته وَعِيَاله وَبَيت الشّعْر كَلَام مَوْزُون اشْتَمَل على صدر وَعجز وجمعه أَبْيَات وبيوت وبيوتات"[3].

أما ابن منظور فيعرفه بأن العرب تقول فلان بيت قومه أي شرفهم، ويقال بيت العرب أي شرفها والبيت من بيوتات العرب الذي يضم شرف القبيلة، كأن يقال بيت تميم في بني حنظلة أي شرفها.[4]

2– التعريف الإصطلاحي: لايختلف التعريف الاصطلاحي عن التعريف اللغوي، لمصطلح البيت أو البيوتات، ولعل التعريف الدقيق والواضح في نجده عند ابن خلدون، فهو يذهب إلى أن: "معنى البيت أن يعد الرجل في آبائه أشرافا مذكورين، تكون له بولادتهم إياه والإنتساب إليهم تجلة في أهل جلدته لما وقر في نفوسهم من تجلة سلفه وشرفهم وبخلالهم"[5].

---

[1] الورثلاني: المصدر السابق، ص322.

[2] نفسه، ص142.

[3] أحمد الزيات وآخرون: **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق العربية، ط1، مصر، 2004، ص78.

[4] ابن منظور: المصدر السابق، ج1، ص393.

[5] عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص167.

ومن كل ماسبق من التعريفات اللغوية والاصطلاحية لمصطلح البيوتات يتبين لنا أنها تصب في معنى واحد وهو: تلك الأسر العريقة التي لها مكانة متميزة في المجتمع، حازت المجد والشرف، نظير ماتبذله وتقدمه لخدمه مجتمعها سواء ماديا أو معنويا، فهي تتصف بالعلم والولاية والثروة والجود والشجاعة وهي صفات ترفع من شأنها ومكانتها بين العامة.

ثانيا– البيوتات العلمية في رحلة الشيخ الحسين الورثلاني:

وقد تطرق الحسين الورثلاني من خلال رحلته إلى تلك البيوتات والأسر العلمية في معرض حديثه عن العلماء، حيث قال: "ومنهم أولاد تبونداوث فضلاء نجباء فقهاء مفتون وفيهم البركة إذ العلم كله بركة وقد سمعنا أنهم من بجاية وأنهم قضاة من العهد الأول إلى الآن بارك الله فيهم"[1]، ويقول في موضع آخر"ومنهم أولاد معمر، فضلاء علماء صلحاء ذووا بركة عظيمة ونتيجة قوية، نفعنا الله بهم"[2]، ومنهم"أولاد أبي جمعة فهم فضلاء صلحاء محل العلم وأهله فقهاء أئمة خطباء"[3].

ويقول أيضا: "ومنهم أولاد سيدي عبد الحليم الساكنون في قرية من قرى بني عباس فضلاء، كرماء علماء وصلحاء إلى الآن الله بهم وبأمثالهم من ذرية سيدي عبد الحليم"[4]

"ومنهم أولاد العياض ومن معهم رضي الله عنهم علماء كرماء أدباء، فضلاء محبون للعلم وأهله، وأولاد سيدي أحمد مثلهم في الفضل والصلاح، والشواثرة علماء أيضا صلحاء لايخلون من العلم يرثونه خلفا عن سلف نفعنا الله بهم وبمن كان في ذلك الجبل"[5]، "ومن زمورة أولاد أبي شيب وإنهم شرفاء أهل فضل وبركة"[6].

---

[1] الورثلاني: المصدر السابق، ص54.

[2] نفسه، ص55.

[3] نقسه، ص55.

[4] نفسه، ص54.

[5] الورثلاني: المصدر السابق، ص57.

[6] نفسه، ص63.

ويقول أيضا في شرفاء تمنقاش: "ومنهم شرفاء تمنقاش من أخيار الناس وليس أحد يذم منهم بل كلهم أوجلهم على الخير والإستقامة بحسب الزمان وأهله وأصلهم والله أعلم من الرابطة وأهل الرابطة ذوو فضل وخير وهمة وصلاح وكرم وعلم وقرآن وحياء سيما الشيخ سيدي السعدي وغيره نفعنا الله بالجميع بمنه وكرمه"[1].

وقد خص الحسين الورثلاني أسرة ابن الساسي البوني بوصفها بالدار، فقال: "ودارهم دار الولاية من أعالي أسلافهم إلى الآن"[2].

وقد تطرق أبو راس الناصريفي كتابه "فتح الإله" إلى عدد من علماء الذين ينتمون إلى أسر علمية، فهاهو يصف كاتب الباي بن عثمان بوهران، حيث قال "السيد محمد بن حسن من بيت علم وصيانة ونزاهة وأمانة"[3].

ثالثا– نماذج من البيوتات والأسر العلمية ببايلك الشرق:

1– بيت الفكون بقسنطينة: نذكر من هذه الأسرة عبد الكريم الفكون صاحب كتاب "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"، ترجم فيه لأكثر من سبعين شخصا من العلماء الصالحين والمتصوفة الحقيقيين إلى العلماء الجهال والأولياء الدراويش وغطى فيه تراجم القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الهجري.[4]

أما ترجمته فهو: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون التميمي القسنطيني، ولد سنة 988هـ، في السنة التي توفي فيها جده عبد الكريم، ولهذا حمل اسمه،[5] والده هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفكون (ت 1045هـ . 1632م، تولى الخطبة والإمامة بعد والده بالجامع

---

[1] نفسه، ص68.

[2] نفسه، ص347.

[3] محمد أبو راس الجزائري: المصدر السابق، ص100.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص369.

[5] عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1987، مقدمة المحقق، ص7. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص527.

الأعظم والأقدم، كان فقيها صوفيا، توفي وهوفي طريق عودته من البقاع المقدسة بعد أداء فريضة الحج، ودفن بالمويلح، وهي قرية فلسطينية عبارة عن قلعة بين مكة والمدينة ومصر، وقد أصبح قبره من المزارات التي يتبرك بها الحجاج في طريقهم إلى البقاع المقدسة.[1]

وكان العياشي أحد الحجاج الذين زاروه وذلك ما أشار إليه بقوله: "قبر سيدي محمد والد الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني وعليه بناء وقد زرناه وتبركنا به"[2].

كما أنه أديب، ونحوي، ومحدث، جمع بين علمي الظاهر والباطن، وكان عالم المغرب الأوسط في عصره، له عدة شروح منها:

- شرح على البسط والتعريف في علم التصريف.
- شرح على شواهد الشريف على الآجرومية.
- محدد السنان في نحور إخوان الدخان، وهي رسالة في تحريم الدخان.
- منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية.[3]

تتلمذ على يد والده، وحفظ القرآن الكريم، كما درس الفقه والفرائض والكلام والنحو، وقد أفاض في الحديث عن شيخيه في علم النحو بالذات وهما محمد التواتي المغربي ومحمد بن راشد الزواوي.

وقد روى الشيخ عبد الكريم الفكون ما جرى بينه وبين الشيخ أبي إسحاق إبراهيم الفلاري حينما دعاه وهو ماربالطريق قائلا له:"ما الجامع بين قول الله تعالى ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ آل عمران: الآية97.

وقول الشاعر: كانت حنيفة أثلاثا فثلثهم ..... من العبيد وثلث من مواليها

[1] عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص7.

[2] العياشي، نقلا عن: عبد الكريم الفكون: منشور الهداية، المصدر السابق، ص7.

[3] عادل نويهض: المرجع السابق، ص254.

قال الفكون: فسكتّ واشتد بي الخجل أكثر من الذي نالني قبل دعائه لي ومروري على جمعهم وصار يؤنبنيبمشهدممن ذكر وأنا أصغر وأتضاءل أمامه لعجزي إذ ذاك وقلة معرفتي... إلا أنني إذ ذاك كنت ذا نفس أبية، ومع صغر سني لا أرضى أن أكون خلي المعرفة مما عرفه غيري"[1].

كانت أسرة الفكون تتمتع باحترام واسع في قسنطينة لتحالفها منذ البداية مع العثمانيين، فكانت في خدمة الدين والدولة، فأخذت لقب مشيخة الإسلام وإمارة الحج، كما كان لأسرة الفكونامتيازات اقتصادية ومعنوية لا حصر لها، كالعقارات والأراضي، ما جعلها من أغنى الأسر بقسنطينة، ولها زاوية خاصة تطعم منها الفقراء وتنشر العلم وتستقبل الضيوف من الجزائر وخارجها وتبث منها آثارها وتأتيرها.[2]

2- بيت البوني بعنابة: نذكر منهم الشيخ أحمد البوني (1063-1139هـ/1653-1726م):

هو أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي التميمي البوني، أبو العباس فقيه مالكي، من كبارهم، عالم بالحديث، ولد ببونة المعروفة بعنابة في شرقي الجزائر، رحل إلى المشرق فأخذ بمصر عن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني وأبي زكرياء يحي بن محمد الشاوي المليانى بعد عودته من الحج وتصدره للإقراء بالأزهر وغيرهما ثم عاد إلى الجزائر وأخذ عنه جماعة من العلماء، منهم عبد القادر الراشدي القسنطيني وغيره، وله كتب كثيرة منها:

- فتح الأغلاق على وجوه مسائل خليل بن إسحاق.
- فتح الباري في شرح غريب البخاري.
- الإيهام والانتباه في رفع الإيهام والاشتباه.
- الثمار المهتصرة في مناقب العشرة.[3]

[1] عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص110-111.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص527.

[3] عادل نويهض: المرجع السابق، ص49-50.

ويعتبر البونيامتداد لمدرسة البجائي واضع"الآرجومية"[1]، وهكذا يتبين أن أسرة البوني قد جمعت بين العلم والصلاح وسيطرت روحيا على عنابة ونواحيها مدة طويلة بلغت القرنيين تقريبا، ومن أبرز أعضائها محمد ساسي أحمد ساسي وأحمد الزروق ولكن أكثرهم تأليفا وعناية بالحديث هو أحمد البوني، كما أن أسرة البوني كانت على علاقة طيبة مع العثمانيين، وقد ساهمت هذه الأسرة وغيرها من الأسر العلمية الجزائرية في الإنتاج الفقهي أيضا مساهمة واضحة.[2]

[1] بخالد فرعون: "الدراسات النحوية في الجزائر من خلال تاريخ الجزائر الثقافي، **مجلة الحوار المتوسطي**، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، ع7، 2014، ص90-91.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص68-69.

الخاتمة

وفي ختام موضوع دراستي عن الأوضاع الاجتماعية والثقافية للجزائر العثمانية وبالتحديد خلال القرن12هـ/18م، رحلة الحسين الورثلاني انموذجا. وقفت على الاستنتاجات التالية:

❖ **نتائج البحث:**

- كشفت الرحلات الحجية عموماً ورحلة الورثلاني على الخصوص مدى معاناة الحجج، في طريقهم للبقاع المقدسة، لما تحتويه من مشقة؛ فهي جهاد نفس وغربة وصبر وبذلوا لبلوغ المرام كل غالي ونفيس، ولكنها في الوقت نفسه منجم كنوز تعرفنا من خلالها على أقوام وشعوب وجنسيات وعادات، وأخذ العلم من أربابه ومعاقله وأساتذته العظام،؛ درساً وإفادة تلقيناً وإجازة، وكما يقال عند الحجاج بمثلنا اليوم "حج وحاجة "، ولا يغفل عن وسيلة المعاش التجارة وما أدراك ما التجارة، كانت منفذ لبلوغ الغاية في حج بيت الله الحرام، وزيارة الحبيب عليه الصلاة والسلام. فعرفتنا على السلعة والبضاعة، العملة والصناعة، الحرفة وأهلها في الجزائر وغيرها.
- يمكن تصنيف رحلة الشيخ الحسين الورثلاني من المصادر التاريخية الأساسية التي أرخت للجزائر وبعض البلدان العربية في القرن الثاني عشر هجري الثامن عشر الميلادي .
- لم يكن علم التاريخ شائعا لدى الجزائريين، إلا أن الشيخ الحسين الورثلاني قد بين فضله وقيمته كعلم ينبغي الاعتناء به كغيره من العلوم الشرعية أو النقلية وحتى العقلية .

_الشخصية القوية والشجاعة التي كان الشيخ الحسين الورثلاني يتحلى بها ساعدته في نقل الأخبار والمعلومات بموضوعية ونزاهة بعيدا عن العاطفة والتزلف لأي كان مهما بلغت مكانته في المجتمع، فلا تأخذه في الله لومة لائم وهذا ما نجده في عدة مواقف منها :

– ظاهرة الرشوة التي تفشت في المجتمع خاصة بين الطبقة المثقفة حيث بيّن الورثلاني حكم الشرع فيها.

– ظاهرة الاختلاط بين الرجال والنساء عند زيارة الأولياء وما نجم عنها من فساد الأخلاق وتفشي الرذيلة.

– كما سلط الضوء على ذلك الصراع القائم بين السلطة الحاكمة متمثلة في العثمانيين وبعض القبائل الرافضة لها وما كان يخلفه من خراب للمناطق التي كانت مسرحاً للفتن والصراع.

- لا تخلو الرحلة عند قراءتها من تلك اللمسة الجمالية في الأسلوب وطريقة السرد التي تميز بها الشيخ الحسين الورثلاني في كتابه، كما أضفى عليها جانب المقارنة بين البلدان التي زارها أثناء رحلته الحجازية وبين بلده الأصلي من حيث الخصائص العمرانية وبعض العادات والتقاليد وهذا ما يعزوه إلى الوحدة الجغرافية والتعاليم الإسلامية التي تحكم تلك الشعوب .
- المكانة العلمية التي حازها الشيخ الحسين الورثلاني على مدى مساره التعليمي بداية من مسقط رأسه إلى رحلاته بين مختلف جهات الوطن وحتى خارجها مكنه من طرح بعض المسائل الفقهية التي كانت محل جدل بين العلماء والمشايخ في تلك الفترة مبديا رأيه فيها بالحجة والدليل المستمد من الشريعة الإسلامية .

_كما استعرض الشيخ الحسين الورثلاني في رحلته الدور البارز والفعال الذي قامت به المؤسسات التعليمة متمثلة في المساجد والزوايا في نشر العلم والثقافة والوعي بين أفراد المجتمع الجزائري.

❖ آفاق وتوصيات الباحث:

- نظرا للقيمة العلمية والتاريخية التي تضمنتها الرحلات بشكل عام و رحلة الشيخ الحسين الورثلاني بشكل خاص، أرجو من القائمين على اللجنة العلمية في الجامعة إدراج موضوع الرحلات كمقياس مستقل بذاته ليدريس للطلاب .
- من خلال بحثي وتعمقي في رحلة الشيخ الحسين الورثلاني، تبين لي أن الوقت قد حان لتجاوز فكرة تناول فن الرحلة في شكلها الكلاسيكي، ودراستها بمنظور تحليلي باستخراج النصوص منها ومقارنتها ومحاولة إعطائها تصورا آخر، بالاستعانة بالتحليلين الفلسفي والاجتماعي في الدراسة.

الملاحق

الملحق (01): صورة من مخطوط الرحلة الورثلانية[1]

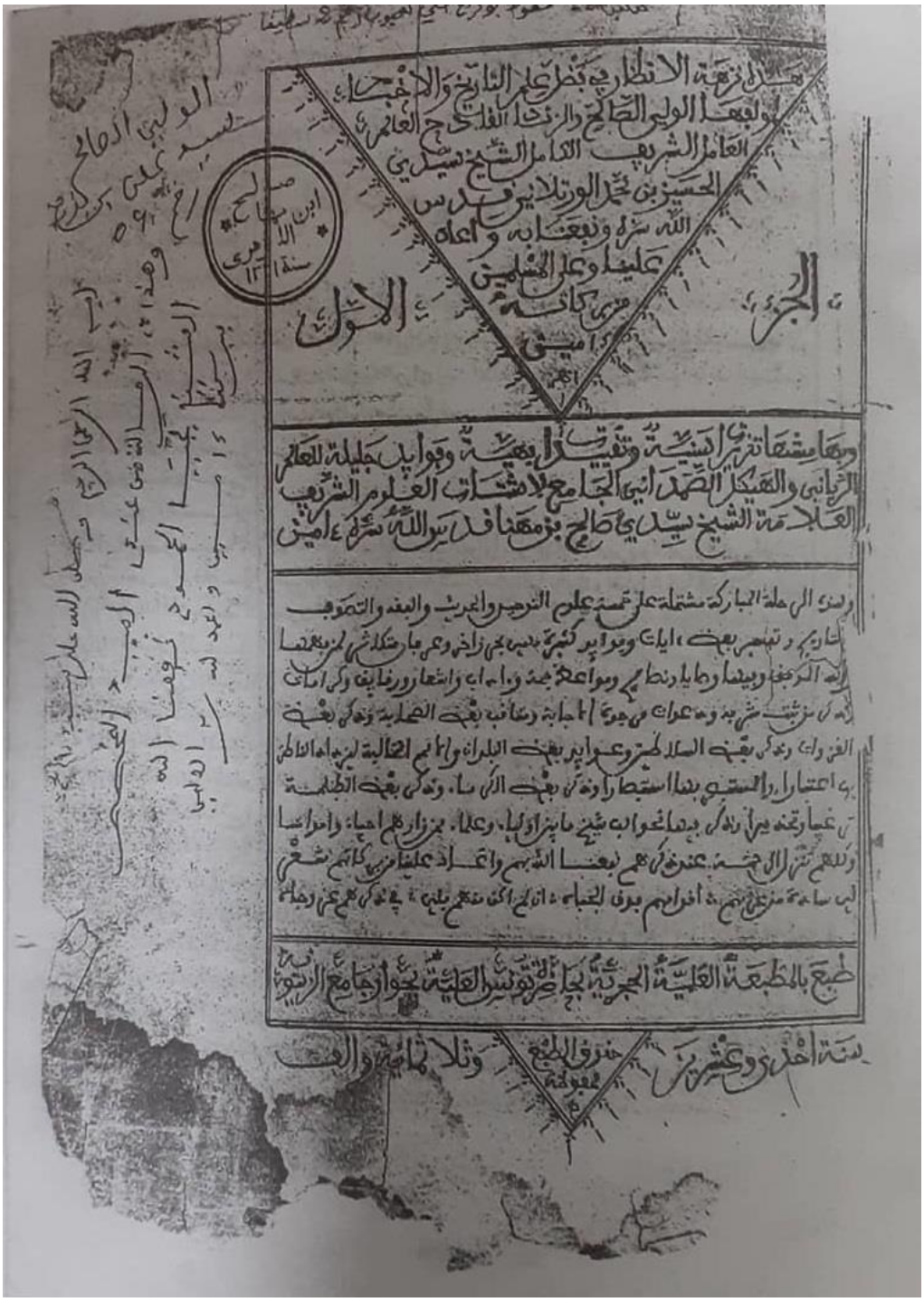

[1] الحسين الورثلاني: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، تح: محمد بن أبي شنب، دار المعرفة الدولية، طبعة خاصة، الجزائر، 2011، مقدمة المحقق، ص21.

الملحق (02): المدن الجزائرية التي مر عليها الورثلاني خلال رحلته[1]

آنو	بني حافظ	بني يعلى
أولا يحي	وادي بوسلام	قصر الطير
الوجلة	بريكة	مدوكال
الزاب	بسكرة	أولاد سيدي صالح
سيدي عقبة	الزرائب	غرزان
الخنقة	الحفنة	

[1] من إنجاز الباحث اعتمادا على الرحلة الورثلانية.

الملحق (03) المدن التونسية التي مر عليها الورثلاني خلال رحلته[1]

توزر	نفطة	فريانة
نفزاوة	الحامة	الجريد
قفصة	السبخة	الزوارة
العامرة		

[1] من إنجاز الباحث اتمادا على الرحلة الورثلانية.

الملحق (04): المدن الليبية التي مر عليها الورثلاني خلال رحلته[1]

الماية	مغازة	طرابلس
تاجوراء	المنشية	وادي المسيد
ساحل حامد	مسلاتة	برقة
زيلتن	مسراتة	أبا كدية
تورغا	السبخة	بئر حسان
بئر مطرو	الزعفران	سانية
النعيم	مغازة	الكحيلة
الحدادية	أجدابية	صعدة
عين الغزالة	درنة	المدار

[1] من إعداد الباحث اعتمادا على الرحلة الورثلانية.

الملحق (05): المدن المصرية التي مر عليها الورثلاني خلال رحلته[1]

وادي الرهبان	المنشية	بولاق
كفر حمام	إمبابة	الدار الحمراء
عجرود	بئر الصعاليك	النابعة
بندر النخيل	سطح العقبة	إيله

[1] من إعداد الباحث اعتمادا على الرحلة الورثلانية.

الملحق (06): نموذج من الإجازات (إجازة الشيخ المنقلاتي لابن زكور الفاسي)[1]

"الحمد لله، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، ورضي الله تعالى على الصحابة أجمعين , وعن التابعين وتابع، الى يوم الدين، وعن العلماء والعاملين , ونفعنا الله بالكل آمين، وبعد : فقد إجتمعت بالشاب الأديب الأريب الحاذق اللبيب السيد احمد بن قاسم ابن زكور, مفتتح عام أربعة وتسعين وألف، وقرأ على جمع الجوامع للامام السبكي من حفظه مع جماعة من الطلبة، فمكتنا في قراءته من أوله الى آخره نحو الأربعة أشهر، فرأيت من حرصه وإعتنائه وإشتغاله بما يعنيه ما أعجبني، وفيه قابلية لما يلقى إليه مع ذهن ثاقب، وفهم صائب، ومشاركة في فنون من العلوم وكانت قراءتنا لجمع الجوامع بإحضار شرحه للمحلي وكنا نقرأ كثيرا منه باللفظ، وولي الدين العراقي، والكوراني، وحواشي مع بعض شراح مختصرابن الحاجب، فشغف بذلك وأعجبه لحرصه على العلوم فطلب مني أن أجيزه فامتنعت لأني في نفسي لست من أهل هذا الشأن ولا من ذلك الميدان، فألح علي المرة بعد المرة لظنه الجميل، أني من هذا القبيل، فأسعفت طلبته حرصا على جبر خاطره خشية من كسر قلبه، لأن كسر القلوب، في كسر القلوب، وجبرها في جبرها، فأجزته أن يروي عني مارويته عن أشياخي من جلة أعلام".

[1] مولاي بلحميسي: المرجع السابق، ص121.

الفهارس العلمية

– فهرس الأعلام –

إبراهيم الشبرخيتي 76
إبراهيم الفلاري 80
إبراهيم بن حسن الكوراني.....74
ابن الشماع 29
ابن بطوطة.....14
ابن جبير..... 13، 14
ابن جزي الكلبي.....14
ابن حجر الهيثمي.....74
ابن حوقل.....29
ابن رشد.....29
ابن زاغو التلمساني.....38
إبن زكري 70
ابن زكور الفاسي.....12
ابن سلامة البسكري 38
ابن عرفة.....38
ابن عساكر 38
ابن فرحون 29
ابن مرزوق ..... 33، 70
ابن مرزوق التلمساني 16
ابن معطي ..... 33، 38
ابن وهران.....38

ابن يلس.....47
أبو الحسن الشاذلي.....72
أبو الحسن الونيسي 68
أبو الفضل المشدالي 15
أبو القاسم الربعي 27
أبو القاسم المحتيالي 68
أبو القاسم المشدالي 39
أبو القاسم سعد الله ..... 33، 71
أبو حامد الغزالي.....33
أبو راس الناصري ..... 39، 40، 78
أبو زكريا المليانى.....81
أبو سالم العياشي..... 31، 58، 79
أبو عثمان المقري 16
أبو علي المشدالي 39
أبو لبابة ..... 35، 36
أبو مدين الغوث.....70
أبو مروان 26
أبو سالم العياشي..... 29، 31
أحمد الأشبيلي.....26
أحمد البجائي.....15
أحمد البوني..... 75، 76، 78، 80، 81
أحمد التنبكتي.....74

أحمد الحبيب الفيلالي.....27
أحمد الطيب الزواوي ..... 37، 45
أحمد المقري ..... 15، 16، 75
أحمد المنصور 12
أحمد بن إدريس..... 38، 53، 55
أحمد بن الصخري 47
أحمد بن المبارك العلمي 68
أحمد بن باباس 52
أحمد بن حنبل.....56
أحمد بن زروق.....26
أحمد بن عبد العظيم 54
أحمد بن ناصر..... 31، 32، 57، 58
أحمد زروق.....81
الأجهوري ..... 39، 74
البابا ليون العاشر 12
الباي بن عثمان 78
الباي صالح ..... 61، 67
البكري 29
التجاني ..... 31، 32
الجوهري ..... 22،27
الحسن الوزان 12

الحسين الورثلاني17، 18، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 43، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 64، 66، 67، 68، 70، 72، 73، 74، 76، 77، 78
الحفناوي.....22، 23، 26، 76
الخضر.....34
الرماصي.....33
السلطان أبي عنان.....14
السمهوري.....29
السيوطي.....29
الشيخ التواتي البجائي.....33
الشيخ السنوسي.....35، 70
الشيخ الغرياني.....27
الشيخ عبد الباقي.....27، 75
الصباغ.....22
العبدري.....13، 29، 31، 32
العفيفي.....22
العمروس.....22
العمروسي.....27، 34
الغبريني.....29
الكاهنة.....37
المسعودي.....10
المقريزي.....29

الملوي ..... 22، 28
المنور التلمساني 34
النبي محمد صلى الله عليه وسلم.....13، 15، 23، 26، 37، 46، 47، 52، 53
النفزاوي 22
الوغليسي .....32، 38، 39
اليعقوبي 35
تلمسان ..... 37، 70
توزر.....33
حسن الكرخي 39
حمدان بن عثمان خوجة 50
خالد بن سنان 30
خالد بن عيسى البلوي 13
خليل الأزهري.....22
خليل المغربي ..... 27، 34، 40
زروق..... 33، 39، 40، 53، 73
سيدي الكتاني.....67
سيدي بهلول 54
صالح باي 52
صفي الدين الفشاشي 74
عبد الباقي الزرقاني 81
عبد الرحمن الأخضري .....23، 34، 54
عبد الرحمن الثعالبي..... 33، 39

عبد الرحمن الذويبي.....48
عبد الرحمن الصباغ.....32، 39، 40
عبد الرحمن بن خلدون ..... 10، 34، 35، 38، 36، 37، 40، 77
عبد القادر الراشدي..... 75، 81
عبد الكريم الفكون.....74، 75، 79، 80
عطية أبو جعفر الطيب.....14
عقبة بن نافع.....30، 35، 36، 37
على الصعيدي 28
علي الفيومي 28
علي باشا القرمانلي 28
علي بن عثمان المنقلاتي 39
علي بن موسى 55
عمر الصايغي 68
كسيلة .....35، 36، 37
لسان الدين ابن الخطيب 16
مارسيول.....52
محمد البليدي 22
محمد الدرعي.....12، 29، 31
محمد الدرعي الناصري.....12
محمد الرملي.....39
محمد السعدي.....45
محمد السنوسي ..... 34، 39

محمد الشاذلي 38
محمد الفاسي 11
محمد المأمون القاسمي 69
محمد المشدالي 15
محمد أمقران 21
محمد بن أبي شنب 17
محمد بن أحمد التلمساني 34
محمد بن حسن 78
محمد بن علي 53
محمد بن عمر الهواري 38
محمد بن مرزوق العجيسي 34
محمد بن نزال الأنصاري 40
محمد ساسي 81
مسعود بن عيدل 21
معاوية بن أبي سفيان 37
موسى عليه السلام 34
مولاي بلحميسي 11
هابنسترات 56
هاينرش فون مالتسان 48
ونيس البورنياري 68
يحي الرهوني 38
يحي العيدلي ..... 39، 54، 56

يحي بن خلدون 44

– فهرس الأماكن –

إصطنبول 12
إفريقيا .....12، 14، 37
آقبو70
الإسكندرية ..... 14، 24
الأندلس .....15، 16، 44
الأوراس.....57
البحرين.....14
الجزائر12، 13، 14، 17، 22، 34، 38، 43، 44، 49، 50، 51، 52، 57، 60، 61، 64، 69، 73، 75، 76، 80، 81
الجلفة 61
الحامة 24
الحجاز .....13، 14، 22، 23، 24، 30، 40، 51، 74
الزيبان 58
الشام.....14
الصين 14
العراق 14
قابس.....35، 36، 56
القاهرة..... 16، 22، 24، 31، 38
القدس 16

القرقور.....22
الكاف 24
المدينة المنورة.....16، 24، 68، 79
المسيلة.....16
المغرب.....12، 14، 34، 35، 37، 40، 52، 71، 79
المغرب الأقصى 14
المويلح.....79
اليمن.....14
بجاية ..... 13، 15، 33، 38، 39، 40، 46، 54، 69، 70، 77
برقة 24، 48
بسكرة..... 23، 35، 36، 49، 51، 55، 56، 57، 58، 60، 66
بلزمة 57
بلنسية.....13
بن غازي 25
بني عباس ..... 54، 78
بني ورثلان 24
بوسعادة 61
تاجورا.....60
تاجوراء.....24
تركستان 14
تقرت 58
تلمسان ..... 13، 45، 67

توزر ..... 24، 60
تونس ..... 18، 24، 30، 35، 36، 40، 56، 59، 60
جرجرة ..... 22، 38
درنة25
دمشق ..... 16، 17، 32، 38
زليتن 24
زمورة ..... 23، 24، 31، 48، 59، 78
زواوة ..... 24، 55، 56، 60، 69
سرت ..... 24، 70
سيدي عقبة ..... 23، 35، 36، 37، 55
طرابلس ..... 24، 25، 28، 30، 31، 60، 61، 67
طولقة ..... 54، 58، 66
عنابة ..... 13، 26، 51، 52، 81
غرناطة 14
غزة 16
غزران 59
فارس 14
فاس ..... 14، 40
فرجيوة ..... 58، 61
قسنطينة . 13، 17، 21، 24، 31، 49، 52، 56، 57، 58، 59، 61، 67، 68، 79، 80
قصر الطير ..... 23، 47، 57
ليدة24

مجانة 58
مدوكال.....46
مراكش 14
مسراتة.....25
مصر .... 14، 16، 22، 24، 30، 31، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 60، 61، 75، 79
مصراتة 24
معسكر..... 40، 48
مكة.....10، 16، 24، 25، 31، 35، 60، 74، 79
وهران ..... 45، 78

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أولا– المصادر:

1- ابن خلدون عبد الرحمن: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تح: خليل شحاذة، دار الفكر، ط2، بيروت، لبنان، 1988، ج1.

2- ابن خلدون يحي: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تح: عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة، طبعة خاصة، الجزئر، 2011.

3- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين: **لسان العرب**، دون محقق، دار صادر، ط3، بيروت، لبنان، 1414هـ، ج1، ج11.

4- التنيلاني عبد الرحمن: **رحلة الشيخ عبد الرحمان بن إدريس بن عمر بن عبد القادر التنيلاني إلى ثغر الجزائر**، تح: خير الدين شترة، دار كردادة للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2015.

5- الجزائري محمد أبو راس: **فضل الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ومنته**، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1990.

6- الحفناوي أبو القاسم: **تعريف الخلف برجال السلف**، دون محقق، مطبعة بيير فونتان الشرقية، دط، الجزائر، 1906.

7- خوجة حمدان بن عثمان: **المرآة**، تحوتع: محمد العربي الزبيري، منشورات أناب، دط، الجزائر، 2005.

8- السيوطي جلال الدين: **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، مصر، 1967.

9- العبدري أبو عبد الله محمد: **رحلة العبدري**، تح: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر، ط2، دمشق، سوريا، 2005.

10- العنتري محمد صالح: **تاريخ قسنطينة**، تح: يحي بوعزيز، دار هومة، دط، الجزائر، 2007.

11- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1970.

12- الفكون عبد الكريم: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1987.

13- المجاجي عبد الرحمن: **رحلة المجاجي**: تح: سعاد آل سيد الشيخ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط1، الإمارات، 2017.

14- المقري أبو العباس أحمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 1968، ج2.

15- المكناسي محمد بن عبد الوهاب: **رحلة المكناسي**، تح: محمد بوكبوط، دار السويدي، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2003.

16- الورثلاني الحسين بن محمد: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورثلانية)**، تح: محمد بن أبي شنب، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، مصر، 2006.

17- الورثلاني الحسين بن محمد: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، تح: محمد بن أبي شنب، دار المعرفة الدولية، طبعة خاصة، الجزائر، 2011.

ثانيا- المراجع:

1- أنساعد سميرة: **الرحلات الجزائرية إلى المشرق دراسة في النشأة والتطور والبنية**، دار السويدي، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2011.

2- بلحميسي مولاي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981.

3- بوعزيز يحي: **أعلام الفكر والثقافي في الجزائر المحروسة**، دار البصائر، طبعة خاصة، الجزائر، 2009.

4- الجيلالي عبد الرحمن بن محمد: **تاريخ الجزائر العام**، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1982، ج1.

5- الزبيري محمد العربي: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1972.

6- الزركلي خير الدين: **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، لبنان، 2002، ج1، ج6.

7- الزيات أحمد وآخرون: **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق العربية، ط1، مصر، 2004، ص78.

8- زيادة نقولا: **الجغرافية والرحلات عند العرب**، الأهلية للنشر والتوزيع، ط3، بيروت، لبنان، 1982.

9- سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1981، ج1، ج2.

10- سعيدوني ناصر الدين: **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1999.

11- سعيدوني ناصر الدين، المهدي البوعبدلي: **الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط4، الجزائر، 1984.

12- شويتام أرزقي: **نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره**، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 2010.

13- طمار محمد: **الروابط الثقافية بين الجزاائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الرغاية، الجزائر، 1983.

14- عزي عبد الرحمن:**التواصل القيمي في الرحلة الورثلانية**، كنوز الحكمة، دط، الجزائر، 2011.

15- لزغم فوزية:**الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية**، دار سنجاق الدين للكتاب، دط، الجزائر، 2010.

16- نويهض عادل: **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، بيروت، لبنان، 1980.

17- هلايلي حنيفي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الهدى، ط1، الجزائر، 2008.

ثالثا– الأطروحات الجامعية:

1- شويتام أرزقي: **المجتمع الجزئري وفعالياته في العهد العثماني 1519–1830**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عمار بن خروف، جامعة الجزائر، الجزائر، 2006.

رابعا– المجلات والدوريات:

1- بلعربي عمر: "محمد بن أبي شنب سيرة ونضال"، **مجلة أنثروبولوجية الأديان**، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، ع13، 2018.

2- زروقي عبد الله: "واقع الزوايا في إقليم توات بين مقتضيات الأصالة ومتطلبات الرسالة"، **مجلة الحضارة الإسلامية**، ع14، الجزائر، 2010.

3- الزين محمد: نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية أواخر عهد الدايات، **مجلة البحوث والدراسات**، ع17، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2012.

4- صحراوي عبد القادر: "الرحلات الجزائرية إلى بلاد الحرمين من خلال رحلتي البجائي والورثلاني"، **الحوار المتوسطي**، جامعة الجيلالي اليابس، ع3، سيدي بلعباس، الجزائر، 2018.

5- علوي مصطفى: "الحياة الثقافية في المغرب الأوسط من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المغاربة خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين"، **مجلة كان التاريخية**، الكويت، ع18، ديسمبر 2012.

6- فرعون بخالد: "الدراسات النحوية في الجزائر من خلال تاريخ الجزائر الثقافي، **مجلة الحوار المتوسطي**، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، ع7، 2014.

7- لامعة زكري: "الرحلة العلمية"، **مجلة كان التاريخية**، ع22، دار الوثائق القومية، مصر، ديسمبر 2013.

خامسا- الكتب المعربة:

1- سبنسر ويليام: **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1980.

2- شيلر ويليام: **مذكرات القنصل الأمريكي في الجزائر 1816-1824**، تع: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1982.

3- مالتسان هاينريش فون: **ثلاث سنوات في شمال إفريقيا**، ترجمة: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ج2.

4- هابنسترات: **رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس**، تع: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، دط، تونس، دت.

سادسا- المراجع الأجنبية:

1- Laugier de Tassy: **Histoire du Royaume d'Alger**, Amesterdam, **.**Hollande, 1724

2- Noushi Andre: "constantine a la veille de la conquéte", **cahier de tunisie**, N11,T3, 1955**.**

ملخص الدراسة

ملخص الدراسة:

إن الدارس لأدب الرحلة عموما ورحلة الشيخ الحسين الورثلاني، سيقف حتما عند العديد من الفوائد القيمة التي توفرها للقارئ، وللباحث المؤرخ، حيث نجدها تتحدث عن كل الجوانب التي تمس المجتمع، الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، بأسلوب سردي شيق وجد مختصر بعيدا عن الحشو والإطناب والإنشاء.

كما لا يخلو نص الرحلة من تلك القيم والمعاني التي تميز شخصية الشيخ الحسين الورثلاني إزاء المواضيع والظواهر التي وقف عندها بمحاولة الإصلاح تارة وبالإنكار وإبداء الرأي فيها تارة أخرى وبذلك اجتمعت فيه صفات المعلم المصلح المتميزة بمحبة أبناء بلده، ولا أدل على ذلك من تقديره واحترامه لأهل العلم والمشايخ من الأحياء أو الأموات.

Abstract:

Who study the literature of journey of Chick ELWartilani will find a very precious benefice given to the reader and the historiessearcher where we find this journey talk about all the community sides: social, cultural, economic and political with an interesting stile who is resumed far from exaggerating and redundancy.

And also we find in this journey the precious values and meaning who distinguish the personality of Chick ELWartilani about the phenome and the subject who try to fixed or deselect and give his opinion about it another times.

Finally, all the advantages are clumped in the personality ofChick ELWartilani in the love of his student and his people especially his respect of lived or dead teachers

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
البسملة	
الآية	
الإهداء	
الشكر والعرفان	
قائمة المختصرات	
المقدّمة	01
الفصل التمهيدي: مقدمات حول رحلة الشيخ الحسين الورثلاني	
المبحث الأول: ماهية الرحلة	8
المبحث الثاني: دواعي الرحلة وأنواعها	9
المبحث الثالث: التعريف بمحقق رحلة الشيخ الحسين الورثلاني والنسخ المعتمدة في ذلك	16
الفصل الأول: ميلاد الشيخ الحسين الورثلاني ومصادر رحلته	
المبحث الأول: التعريف بشخصية الحسين الورثلاني	20
المبحث الثاني: المصادر المعرفية في رحلة الشيخ الحسين الورثلاني	29
المبحث الثالث: نماذج من بعض أعلام الفكر والثقافة في رحلة الشيخ الحسين الورثلاني	36
الفصل الثاني: الأوضاع الاجتماعية للجزائر في رحلة الشيخ الحسين الورثلاني	
المبحث الأول: المجتمع الجزائري من خلال رحلة الشيخ الحسين الورثلاني	41
المبحث الثاني: عادات الجزائريين من خلال رحلة الشيخ الحسين الورثلاني	50
المبحث الثالث: الصراع بين بعض القبائل والسلطة الحاكمة	54
المبحث الرابع: مظاهر المقارنة بين البلدان في رحلة الشيخ الحسين الورثلاني	57
الفصل الثالث: الأوضاع الثقافية للجزائر في رحلة الشيخ الحسين الورثلاني	
المبحث الأول: المؤسسات الثقافية في الجزائر	61
المبحث الثاني: المسائل الفقهية التي تعرض إليها الشيخ الحسين الورثلاني	69

المبحث الثالث: نماذج عن البيوتات العلمية في الجزائر	73
الخاتمة	79
الملاحق	82
الفهارس العلمية	89
قائمة المصادر والمراجع	101
مخلص الدّراسة	107
فهرس المحتويات	109